أثر المتخيل الاجتماعي على الهرمنيوطيقا عند بول ريكور

الباحث/ أيمن عبد اللطيف رضوان حسن

باحث دكتوراة فى الفلسفة المعاصرة– قسم الفلسفة– كلية الآداب– جامعة القاهرة

الملخص

قدم بول ريكور نظريته عن المتخيَّل الاجتماعى من خلال محورين رئيسين:

الأول هو الأيديولوجيا، وتهدف إلى دراسة مجموعة المُعتقدات والأفكار التى تؤثر على نظرتنا للعالم. ونستطيع أن نقول أنها مجموعة من القيم والمشاعر التي نتمسك بها بشكل كبير.

والثانى هو اليوتوبيا، ويحتوى على أفكار متعالية تتجاوز نطاق الوجود المادى للمكان، وتحتوى على أهداف ونوازع العصر غير المحققة، ويكون لها تأثير تحويلى على النظام الاجتماعى القائم. ويُلاحظ أن هذين المحورين يتفاعلان فى حركة تبادلية داخل دوائر تأويلية كبرى ثلاث، محققان نوعًا من الجدل الحوارى يشمل هذه الدوائر

الكلمات المفتاحية: المتخيل– الأيديولوجيا– اليوتوبيا– الهرمنيوطيقا– الإدماج.

Abstract:

Paul Ricoeur presented his theory of Social Imagination through two

main axes:

The first is Ideology as Study addressed the set of doctrines and Perceptions that affect our view to the world.

From my point of view it is a set of values and feelings that we adhere very much.

The second is Utopia, introduced transcendental ideas that transcend the physical existence of the place; contains Inclination goals and trends of the times which not achieved, and have a transformative effect on the existing social order.

It should be noted that these two axes interact in a reciprocal movement within three major interpretive circles, investigating a kind of debate dialogue involving these circles.

Key wards: Imagination– Ideology– Utopia– Hermeneutics- Integration

(ISSN: 2536 - 9555)

المقدمة:

يعد التأويل من المطالب الملحة في حياتنا المعاصرة، مما يستدعي نشاط الهرمنيوطيقا، وذلك بسبب تعقد الحياة الفكرية المعاصرة، والتي يسودها الاغتراب نتيجة التباعد الحادث بين الماضي والحاضر، والصراعات القائمة بين الشعوب الناتجة عن الاختلاف الثقافي والعقائدي، والوعود الزائفة المستترة تحت غطاء الأيديولوجيات السياسية المختلفة، مما جعل هناك حاجة ماسة بالطبع إلى تسلح الهرمنيوطيقا بالمعارف الواسعة المستمرة المستمدة من المجالات المختلفة لفروع المعرفة الإنسانية المعاصرة، كعلوم اللغة والتاريخ والأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا والسيكولوجيا بالإضافة إلى الفلسفة.

إننا في الواقع العربي المعاصر في حاجة ماسة إلى إقامة علاقة نفسية جديدة مع المعرفة، تقوم على مفهوم فكر الأنوار، بالإضافة إلى موقف عقلي تجاه الحياة، يتميز بالاستقلال والانفتاح والنقد، مع توخي الحذر من التسرع الذي قد يؤدي إلى السقوط في الأيديولوجيا بمعناها المرَضي، وهو ما سوف تسعى هذه الأطروحة إلى تجاوزه.

يمكننا أن ندرك جميعًا أنه لا وجود اليوم لفلسفة من أجل الفلسفة بمعزل عن الواقع، وإنما تمثل الفلسفة وظيفة تاريخية تعبر عن صلتها بالحياة والواقع المعيش، وإذا كنا نميل إلى الفلسفة بوجه عام والهرمنيوطيقا بوجه خاص، فذلك لأنها تضعنا على الإدراك العميق لمشاكلنا الأساسية، والتي بدونها تتحول الفلسفة والفكر عمومًا إلى قرين البؤس كما كان ماركس يؤكد، لقد كان ريكور مثلنا وهذا ما تنبئ عنه نصوصه وتعامله مع الهرمنيوطيقا، على وعي بأن الإشكاليات العميقة المختبئة خلف ما يكتبه، والتي تتجلى هرمنيوطيقيًّا في معالجات تخص تمزقات الوعي بفعل الإفرازات السلبية للحداثة، ومنتجات عصر التقنية، وهو ما يميز الفلسفات المعاصرة بوجه عام، فالكل واقع تحت تأثير وضع تاريخي واحد وإن اختلف الفكر أو الوطن أو العقل، وقد كان بول ريكور من المفكرين والفلاسفة الذين لا يريدون أن يحسبوا أو يصنفوا في أحد الطرفين المتناقضين المثالية أو العدمية، بل حاول نشر وتأسيس قيم الليبرالية في مناحي الحياة السياسية والثقافية من أجل التغلب على الأوضاع المحيطة بالذات وبالوعي والمخترقة للاوعي، مع المحافظة على ما للذوات من قيم وثوابت تخص كل مجتمع وكل فكر.

لقد حاول ريكور دراسة الخيال في صورته الجمعية، ويمثلها ملكة الخيال الجماعية التي تكون ما يسمى المتخيل الاجتماعي لمجتمع ما، وقد ساعد المتخيل في صورته

الجماعية ريكور في تمثله للواقع بصورة مختلفة، وأدى ذلك إلى إحداث منعطف جديد للفكر الفلسفي بالتفكير في الممكن والاحتمالي، وإدخال الصورتين في المباحث الاجتماعية والعلوم السياسية والأدب والرسم والسينما، وحتى في المنتجات السمعية.

استطاع بول ريكور إدراك المزايا التي يوفرها الخيال للتاريخ والذاكرة على المستوى الجمعي، وانتبه إلى السجال بين المعطى والمبني، بين واقع الانعكاس والقدرة البنائية، وبحث إمكانياته في جلب الابتكارات الجديدة والمعطيات الممكنة إلى الفعل البشري، حتى توصل إلى التعامل مع ملكة الخيال الجمعي، ليس في قدرتها التفكيرية في النموذج المعرفي فقط، بل والتعويل على الدور الذي يلعبه الخيال من حيث هو الملكة التأليفية القادرة على إعادة تشكيل الوساطات التي بها يتأسس الوجود البشري.

لقد أسس بول ريكور رؤيته للخيال الجمعي على دوره في إعادة بناء معنى التجربة الإنسانية، والذي تجلى من خلال وحدته الموضوعية التي تنتظم فلسفته بصورة كلية، حيث إنه استطاع تلمس إنتاجات الخيال بصوره منذ رحلته الفكرية في التأويل الرمزي للشر، مرورًا بتحليلاته حول الذاكرة والوعد والاعتراف والنسيان، ما يعطي صورة لأهمية هذا الموضوع عنده، وقد أسهم في ترسيخ هذا الدور في فكره وفلسفته تأثره بالمنهج الفينومينولوجي (الظاهراتي)، والذي كان الخيال يلعب فيه دورًا أساسيًّا.

يعد المتخيل ليس مجرد منطق واهم، ولكنه قدرة وصفية عالية ومتنوعة تمكن من جعل شيء ما من العالم يعرض نفسه للرؤية من خلال منتجات الخيال، من هذا المنطلق يمكننا النظر إلى المتخيل بوصفه استثمارا للممكن في مسار البحث عن الحقيقة.

يؤسس ريكور دراسته للمتخيل على ثلاث نقاط ارتكاز رئيسة:

- رد الاعتبار لأهمية ودور الخيال، وإثبات الصلة العميقة الموجودة بين الخيال واللغة، وتجاوز عمليات التعاطي مع الخيال كمعطى نفسي، أو اعتباره صورة ذهنية كما كان سائدًا.
- إعادة النظر إلى أبعاد أخرى، والنظر إلى ما يطرح من إنتاجات المتخيل وفق آلية المنهج الفينومينولوجي (الظاهراتي) للوصف، باعتباره طرح لإمكانية عالم بأسره حتى ولو كان في شكل تخيلي.

(ISSN: 2536 - 9555)

- يعتبر المتخيل تجارب بنائية وتكوينية للفعل، ويتجلى ذلك في حرية الخيال الذي يمكن أن يصبح خيالًا للحرية، وبناءً عليه ليس البعد الرمزي بعدًا ثانويًّا للممارسة، وإنما هو العنصر الذي يجعل الفعل يكون ممكنًا ومعقولًا في نفس الوقت.

يعد المتخيل الاجتماعي، أو الخيال في الصورة الجمعية، من الأهمية في فلسفة ريكور وهرمنيوطيقاه، حتى إنه كرس له العديد من مؤلفاته، في محاولة منه لدراسة هذا الموضوع والخروج منه بمواضع وتصورات إبداعية جديدة تنضاف إلى الهرمنيوطيقا بوجه عام وإلى فلسفة ريكور بوجه خاص.

يشكل المتخيل مكونًا رئيسًا للحياة الاجتماعية، كما أنه يسعى إلى إزاحة العقبات التي تفصل بين السياسة والأخلاق، ذلك الجانب العملي من الفلسفة، والذي يبحث في دائرتي القوة والحق، من خلال قطبية ثنائية هي الأيديولوجيا واليوتوبيا، والتي تشكل المتخيل الاجتماعي في الهرمنيوطيقا الريكورية، والسعي إلى تحليل الجهود السابقة، تجاه هذا الموضوع بطريقة جدلية فاحصة، تقوم على مسح شامل لهذه الجهود ودراستها بصورة كاملة، وتجاوز الإخفاقات السابقة فيما يخصه، ثم البناء على ما وجده إيجابيًّا متميزًا، ثم وضع الإسهام الإبداعي الجديد الذي يخص وجهة نظره حول هذا الجزء التطبيقي من الهرمنيوطيقا.

فالأيديولوجيا إنتاج المتخيل الاجتماعي، مهمتها السماح للممارسة بالاندماج في السياق الاجتماعي، وهنا يتعلق الأمر بذات فاعلة، تبرر فعلها بالإحالة إلى عالم رمزي من القواعد والقيم المفروضة من جانب الماضي المتمثل في التقاليد والتراث، فالذات لا تقوم بالفعل بشكل منفرد وخارج إطار كل المؤسسات، وإنما وفق تقاليد جماعية موجودة ومشتركة للفعل.

واليوتوبيا وهي المناظر للأيديولوجيا والجزء الثاني المكمل لهذه القطبية، تقوم على فكرة التجاوز والاستشراف المستقبلية، وتتمثل في تنسيب الانتماء إلى العالم الاجتماعي بواسطة القدرة الإبداعية على الخلق وفق أداة هي المتخيل الجمعي.

وتقوم هذه الدراسة على دراسة ريكور الجدلية لفكرة السجال القائم بين عملية التبرير الأيديولوجي، والقدرة الكشفية الموجودة في اليوتوبيا، والتي تسمح بإظهار إمكانيات أخرى للعالم، وبالتالي تعتبر وسيلة للحض والدعوة إلى تغيير العالم الذي نحيا فيه وفق هذه الإمكانيات، وقد اضطلع ريكور بهذا الدور عبر آليات التأويل الهرمنيوطيقة والنقدية إلى

محاولة وضع حالة جديدة من إزالة التعارض بين الأيديولوجيا واليوتوبيا ترتكز على التنويعات الخيالية حول قدرة التأليف الموجودة في الإنتاجات البشرية، والتي تعيد الاعتبار للقطبين وتقصد الزمن الراهن.

- **مشكلة الدراسة وأهميتها**:

لاحظ الباحث العلاقة الوثيقة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا عند ريكور؛ حيث لا غنى لإحداهما عن الأخرى فى تقديم صورة متكاملة للهرمنيوطيقا والوقوف على تفسير مقنع للوجود. وكانت هذه العلاقة أو الصلة متوارية فى الاتجاهات والمذاهب السابقة، بل والمعاصرة لريكور. ويسعى هذا البحث إلى إبراز الكيفية التى بها يتجاوز التأويل عند ريكور وجوه النقص فى الاتجاهات التأويلية السابقة التى كانت تتحيز لعنصر من عناصر التأويل على حساب الآخر.

- **أهداف الدراسة**:

- بيان العلاقة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا.
- دراسة الكيفية التى تتم بها عملية التأويل.
- الوقوف على موقف ريكور من بعض نماذج التأويل المغايرة له وخاصة التأويل عند معاصريه جادامر وهابرماس.
- الوقوف على موضوع الأيديولوجيا بوصفه موضوعا حيويًّا شديد الصلة بالواقع.
- الوقوف على موضوع اليوتوبيا بوصفه موضوعًا يختص بممكنات المستقبل والإبداع.
- نقل أحدث اتجاهات التأويل فى الفكر الغربى إلى دوائر البحث العربية.

- **تساؤلات الدراسة**:

١. هل نجح بول ريكور فى إصلاح المسارات الخاصة بدراسة الأيديولوجيا؟
٢. هل يمكن الجمع بين الأيديولوجيا واليوتوبيا فى قالب واحد داخل عملية التأويل؟
٣. هل توجد علاقة بين الخيال والهرمنيوطيقا؟

- **فروض الدراسة**:

- أن يكون ريكور قد استطاع تجاوز النقص الذى اعترى البحث فى المتخيل الاجتماعي قبله.
- أن يكون الإبداع التأويلى عند ريكور رد فعل على المذاهب الفلسفية والاتجاهات التأويلية السابقة عليه بما تنطوى عليه من نقائص تحتاج لإصلاح.

(ISSN: 2536 - 9555)

- أن يكون ريكور قد استطاع تقديم نموذج للوجود الحي في العالم يتميز بالتواصل بين لحظات الزمن الثلاث عن طريق الاستفادة من الماضى والفعل في الحاضر واستشراف المستقبل.

- **حدود الدراسة**:

* تقع هذه الدراسة فى إطار الفلسفة المعاصرة، ولكن موضوعها بحكم طبيعته يتقاطع مع كثير من مجالات العلوم الإنسانية: كعلم النفس والاجتماع والتاريخ واللسانيات والنظريات الأدبية وعلوم اللغة وعلم اللاهوت.

- **منهج الدراسة وأدواتها**:

* يستخدم الباحث المنهج الجدلى والتحليلي، كما سبق أن نوهنا فإن البحث يقوم على منهج تحليلي مقترن بمنهج جدلي: فالتحليل يهدف إلى تحليل الموضوع من حيث مضمونه ومعرفة عناصره الدقيقة، وأما الجدل فيسعى إلى تفسير وفهم للهرمنيوطيقا عند بول ريكور من خلال تفاعلها مع اتجاهات التأويل السابقة عليه والمعاصرة له.

- **الدراسات السابقة**:

* هناك عدد من الدراسات الأجنبية التى تمت ترجمتها عن بول ريكور وفلسفته أو التى تتصل بموضوع الدراسة مثل: محمد هاشم عبد الله، "فلسفة الإرادة والتأويل عند بول ريكور"، إشراف: د. يحيى هويدى، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الفلسفة، ١٩٩٤.، حسن البنا، "بول ريكور: مكانته فى النقد الأدبى"، جماليات التلقى والتأويل، إشراف د. عز الدين إسماعيل، أعمال المؤتمر الدولى الأول للنقد الأدبى، القاهرة، أكتوبر ١٩٩٧، ط١، ١٩٩٩.، سعيد الغانمى، "الفلسفة التأويلية عند بول ريكور"، مقدمة ترجمة: الوجود والزمان والسرد، تأليف: مجموعة من الباحثين، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٩.، أحمد أبوزيد، "بول ريكور وفن القراءة"، الطريق إلى المعرفة، كتاب العربى، الكويت، ١٥أكتوبر، ٢٠٠١.، كما توجد دراسة أخرى لمحمد هاشم عبد الله بعنوان، "ظاهريات التأويل: قراءة فى دلالات المعنى عند بول ريكور"، مجلة فصول، ع٥٩، ٢٠٠٢.، دانيال ل. هوانج، "نقد ريكور للأيديولوجيا من أجل اللاهوت"، مجلة الاستغراب، ع٦، ٢٠١٧.، فتحى التريكى، "بول ريكور فيلسوف الغيرية"، مجلة أوراق فلسفية، ع٨، ٢٠٠٥.،عامر حسن وعماد أحمد،"مستقبل الأيولوجيا واليوتوبيا فى الفكر السياسى الغربى الحديث"،مجلة العلوم السياسية،ع٤٣.، مارثيلو فيليكس تورا، "مصادر وآثار مفهوم الأيديولوجيا عند بول ريكور"، ترجمة: هشام الميلوى، مجلة الكلمة، ٢٠٠٥.، راسل جاكوبى، "نهاية اليوتوبيا"السياسة والثقافة فى زمن

اللامبالاة، ترجمة: فاروق عبد القادر، مجلة عالم المعرفة، ع٢٦٩، ٢٠٠١.، محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالى، "الأيديولوجيا"، مجلة دفاتر فلسفية، ع٨، ٢٠٠٦ وسوف يحاول الباحث الاستفادة من كل هذه الدراسات وغيرها مما يساعده على إنجاز دراسته.

ويضم البحث الجوانب التالية:

أولاً: مفهوما الأيديولوجيا واليوتوبيا:

لا شك أن موضوعي الأيديولوجيا واليوتوبيا من الموضوعات التي استحوذت على الاهتمام الكبير لدى العديد من فروع المعرفة، حتى إنهما يعدان من الدوائر التي تتقاطع بداخلها فروع العلم والمعرفة المختلفة، وقد دُرسا منفصلين في بعض دوائر المعرفة، ولكن الفلسفة استطاعت أن تدخلهما في إطار فكرى واحد، مع الحفاظ عليهما كدائرتين مكتملتين كلا على حدة، وسوف نحاول فيما يلي عرض هذين المفهومين منفصلين، ثم نوحدهما في علاقة جدلية داخل دوائر الفكر الفلسفي ثم ننتهي بهما عند ريكور، في محاولة لإبراز التطور الذي لحق بهما، وتبلورهما مع ريكور كأداة من أدوات المعرفة، وآلية عملية من آليات الفكر الفلسفي.

*** الأيديولوجيا:**

يعد مفهوم الأيديولوجيا من المفاهيم المتشبعة والمختلطة، ولذلك لا نكاد نجد اتفاق بين باحثي العلوم الإنسانية على تعريف جامع مانع لهذا المصطلح، ولذلك نجد لهذا المفهوم عدة تجليات في فروع المعرفة المختلفة.

إن محاولة الوصول لمعنى كلمة (أيديولوجيا Ideology)، يتطلب منا العودة إلى أصل هذا المصطلح، ويعود هذا المصطلح إلى اللغة اليونانية، ويتألف من مقطعين هما (Idea) فكرة أو ما هو متعلق بالفكر، (Logos) أي علم، وبذلك فإن أصل هذا المصطلح يعنى علم الأفكار، أو العلم الذي يدرس ما يتعلق بالفكر، وعلى هذا يرى بعض الباحثين أن الأيديولوجيا فرع من فروع الدراسات الإنسانية، والتي تبحث في طبيعة الفكر، ونشأة الصور العقلية عند الإنسان، على حين يرى آخرون أن الأيديولوجيا: هي عملية بناء نسق فكرى عام، يتم من خلاله تفسير الطبيعة والمجتمع[١].

---

[١] انظر: أحمد عطية موسى، القاموس السياسي، دار النهضة العربية، ط٣، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٦١.، الموسوعة السياسية، إشراف عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤م، ص٩٩.

(ISSN: 2536 - 9555)

ويستخدم مصطلح الأيديولوجيا بمعنيين، **الأول** عام: ويعني المجموعة النظامية المكونة من المفاهيم في موضوع الحياة والثقافة البشرية، أو هي الطريقة أو المحتوى الفكري المميز لفرد أو جماعة ما، أو أسلوب التفكير الذى تتميز به طبقة معينة أو فرد بعينه.

أما **الثاني** فهو خاص: ويعني مجموعة من الأفكار المبنية على أسس نظرية معينة[٢]، ولكن حتى لا نسقط في أسر المعنى اللغوي والقاموسي، والذي ربما يكون غير وافٍ ولا كافٍ لإظهار حقيقة ومعنى هذا المفهوم.

فمن الملاحظ أن هناك ثلاثة فروع من المعرفة رئيسة، شكلت جميعًا المعنى الشامل لهذا المصطلح، وقد أعطى كل فرع أو اتجاه من هذه الاتجاهات صورة ما لهذا المفهوم، ولذلك فإننا يمكننا أن نميز ثلاثة معانٍ لمصطلح الأيديولوجيا.

فهناك المجال أو **الفرع الأول**، وهو المجال السياسي، والذي يعرف الأيديولوجيا بالمعنى السلبي لها حيث هي كل تفكير خادع. أما المجال **الثاني** فهو المجال الاجتماعي، وتعني وفقًا له الأيديولوجيا مجموعة الأفكار والقيم والمثل التي تتبناها جماعة ما، والتي تحدد لها رؤيتها للواقع الاجتماعي وللتاريخ. ثم يأتي المجال **الثالث**، وهو المجال المعرفي (الأبستمولوجي)، ويحدد الأيديولوجيا بأنها المعرفة الظاهرية السطحية، المقابلة أو المتضادة مع المعرفة العلمية العميقة بالأشياء[٣].

وسنركز بدورنا على ما يختص بالفلسفة متقاطعين مع المجالات الثلاث، في محاولة للوصول إلى عمق هذا الموضوع.

ويعد الفيلسوف الفرنسي ديستوت دى تراسي (Destutt De Tracy) (١٧٥٤–١٨٣٦) أول من استخدم مصطلح الأيديولوجيا (Ideology)، ليشير بها إلى فكر جماعة من الفلاسفة الفرنسيين الثوريين بزعامة كوندياك (Condiuac)، وقد سمى هؤلاء الفلاسفة أنفسهم الأيديولوجيين (Les Ideologyues)، وكانت منطلقاتهم الفكرية ترتكز على مبدأين كالتالي:

---

[٢] انظر: منير البعلبكي، المورد، قاموس إنجليزي عربي، دار العلم للملايين، ط٧، بيروت، ١٩٧٤م، ص٤٤٧.

The concise Oxford Dictionary of current English London: 1980, p.58,588.

[٣] عبد الله الأنصاري، الأيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ص٢١.

أولًا: ليس العقل مبدأ ميتافيزيقيًّا كونيًّا وثابتًا، وإنما هو شكل من الأشكال الفكرية، يتغير وفقًا للتغيرات التي تحدث في مصائر الجماعات.

ثانيًا: إن دراسة الأفكار يجب أن تتم على أسس معطيات العلوم الإنسانية والنفسية؛ وليس على أساس المفاهيم الميتافيزيقية.

وقد ألصق بهذا المصطلح وأصحابه بعد ذلك صفات النقص والعيب، حيث عارض هؤلاء الفلاسفة سياسات نابليون الإمبريالية التوسعية، فأطلق عليهم نابليون بعد ذلك اسم الأيديولوجيون، قاصدًا إلصاق الازدراء والاحتقار لهذا الاسم، وكان بذلك يعنى أن فكرهم وفلسفتهم غير واقعية، وغير عملية فلا تناسب مجريات الأمور والصراع السياسي القائم، وقد ظلت هذه الوصمة لصيقة بكلمة أيديولوجيا منذ ذلك الحين[٤].

ومع القرن التاسع عشر تطور مفهوم الأيديولوجيا، حتى اعتبر القرن التاسع عشر عصر الأيديولوجيا، واتسم بإعادة تقييم القيم، وانتشر فيه النقد والتحليل الفلسفي لطرق التفكير المختلفة ومواضيع الفكر، فكان من أعلامه كبار الفلاسفة، مثل كانط وهيجل وماركس وأنجلز ونيتشه، وغيرهم من المفكرين والفلاسفة الذين تركوا بصمات واضحة على الخريطة الفلسفية بوجه عام، وعلى مفهوم الأيديولوجيا بوجه خاص، حيث تشابك مفهوم الأيديولوجيا بفروع المعرفة المختلفة، توسيعًا للمفاهيم والتعريفات السابقة لهذا المصطلح **ونلخصها فيما يلي:**

- الأيديولوجيا هي طريقة للتفكير في القضايا الإنسانية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.
- الأيديولوجيا تهتم بمحتوى الفكر من مقولات ومواقف وتوجهات وغايات.
- وتنطوي على تقييم شامل محكوم بموقع من يتحملون المسئولية في البنية الاجتماعية.
- الفكر الأيديولوجي محدود وجزئي، وكذلك ينطوي على تحريف للحقائق وتشويه وتزييف وإخفاء، ويكون ذلك بطريقة شعورية أو لاشعورية.
- الأيديولوجيا تقوم بكل ما يمكن من أجل تثبيت الوضع الاجتماعي والسياسي القائم بشتى الطرق.

---

[٤] كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا، مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ترجمة: د. محمد رجاء الديريني، شركة المكتبات الكويتية، الكويت، ط١، ١٩٨٠م، ص٤٥.

(ISSN: 2536 - 9555)

- والنتيجة النهائية أن الفكر الأيديولوجي خاطئ وعقيم ويجب رفضه وتجاوزه إلى فكر آخر واقعي ومفيد عمليًا[٥].

وما لبث العالم والفكر أن تحررا من مرحلة الأيديولوجيا في القرن التاسع عشر، وصولًا إلى عصر التحليل[٦] والقرن العشرين، وذلك من خلال تجاوز الحقبة الأيديولوجية إلى سوسيولوجيا المعرفة، عبر تحليل المذاهب الفكرية والفلسفية المختلفة، بغية البحث عن مناطق القوة والحق والإصلاح، والكشف عن مواضع الزلل والزيف والخداع، على أن يكون ذلك في كل أرجاء المعمورة، وفي كل فروع الفكر، دون إقصاء أو تجاوز، والوصول إلى النظرة الموضوعية السليمة، والتي تصلح لكل زمان ومكان وفرع من فروع المعرفة، ما يرسخ قاعدة الاشتراك البشري على أرضية هذا العالم، باتفاق الجميع في شكل حوار جدلي، يهدف إلى الوصول لإطار فكري وأرضية مشتركة تتألف من عناصر يتفق الجميع على صلاحها[٧].

*** اليوتوبيا:**

يعد مفهوم اليوتوبيا من المفاهيم القديمة التي كان لها تجليات مختلفة عبر العصور، كأحد المحاولات الفكرية للفلاسفة بحثًا عن التجاوز لكل أوضاع الإخفاق في العيش في عالم متكامل وسعيد.

أما عن أصل ومعنى مفهوم اليوتوبيا، فإنه يرجع إلى الزمن البعيد، حيث الحضارة اليونانية، ويشير الأصل اليوناني للكلمة (يوتوبيا Outopia) إلى أنها تتكون من مقطعين هما (ou) بمعنى ليس أو لا، و(topos) وتعني مكان، ومن ثم فالكلمة تعنى ليست مكانا أو لا مكان، أو ذلك الشيء غير الموجود في الواقع، ويرى البعض أنها فيما تعنى المكان السعيد أو أرض الأحلام، وفي العلوم السياسية تعنى الرغبة التي ليس في الإمكان تحقيقها لا الآن، ولا بعد الآن، حيث إنها رغبة لا تستند إلى قوى اجتماعية أو سياسية، ومن ثم فإنها تفتقر إلى آليات التنفيذ على أرض الواقع[٨].

---

[٥] المصدر السابق، ص٤٦–٤٧.

[6] Morton white, ed. The Age of Analysis: 20th century philosophers, mentor Book, 1959.

[٧] كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا، مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ص٤٨.

[٨] انظر: مراد وهبه، المعجم الفلسفي (معجم المصطلحات الفلسفية)، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، ص٧٤٦.، اليوتوبيا والفلسفة، الواقع اللامتحقق وسعادات التحقق، تأليف مجموعة من الأكاديميين العرب، منشورات الاختلاف، الرباط، ط١، ٢٠١٤م، ص٩.

أما عن أول من استخدم لفظة يوتوبيا صراحة فإنه الفيلسوف والمفكر السياسي توماس مور (١٤٧٧-١٥٣٥)، وذلك حين كتب عام ١٥١٦ قصة سماها يوتوبيا (utopia)، وصف من خلالها بلدا بعيدًا اسمه يوتوبيا، يعيش فيه مجتمع سعيد، راضٍ عن حياته ومنسجم مع نفسه ومع العالم، معبرًا من خلال مؤلفه هذا عن المجتمع المثالي، وقد ذاع صيته وانتشر بعد ذلك، وترجم إلى العديد من اللغات، وأصبح مثالًا للدلالة على العالم المثالي الخالي من كل نقيصة والذي يعد تحققه على أرض الواقع ضربا من الخيال[٩].

وأصبح للكلمة فيما بعد معان كثيرة، فصارت تطلق على كل إصلاح سياسي، أو أي تصور خيالى مستقبلي، ولكنها تظل تصورًا فلسفيًّا ينشد انسجام الإنسان مع نفسه ومع الآخرين ومع مجتمعه، فالفكر اليوتوبي اهتمامه الأساسي خلق التصورات والأفكار، التي من شأنها تحقيق الانسجام الاجتماعي، ويتم ذلك عبر الخيال الأدبي أو التصور الفلسفي[١٠].

لا شك أن محاولات إنشاء المدينة الفاضلة منذ جمهورية أفلاطون، مرورًا بالعصور التالية له، وصولا للعصر الحديث، تعد نتاجا لاتصال الفكر بالواقع من خلال اللغة في محاولة عن طريق الخيال والمتخيل الاجتماعي، للوصول إلى صورة حالمة لمستقبل أفضل، يتحقق فيه سبل العيش السعيد، وبإشارة إلى حرية الإنسان، في التعبير عن تصوره لهذا المستقبل، عبر هذا البعد من أبعاد التجربة الإنسانية في الحضارات والعصور القديمة وصولًا إلى الحاضر وحُلمًا في المستقبل.

تعددت محاولات الإنتاج الفكري اليوتوبي بعد توماس مور، ومع القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر، ومن خلال التفاعلات والأنشطة العقلية والعملية، سادت موجة من التفاؤل وزاد معها النظر إلى مصطلح اليوتوبيا بالإيجاب، وبخاصة لمن كان الواقع يمثل بالنسبة له إشكال يحول دون تحقيق أحلامه وأمانيه، لكن ونظرًا لأن الفكر

---

[٩] عبد الله الأنصاري، الأيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، رسالة ماجستير، ص٧٢-٧٣.

[١٠] ماريا لويزا برنياري، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ترجمة: عطيات أبو السعود، عالم المعرفة، ع٢٢٥، ١٩٩٧م، الكويت، ص٧.

(ISSN: 2536 - 9555)

يتخلف عن الواقع، فإن هذه المحاولات قد باءت بالفشل لتحقيق المستقبل المنشود[١١]. حتى إنه ومع منتصف القرن التاسع عشر انشطر الرأي الذي كان في مجمله مؤيدًا ومنفتحا على اليوتوبيا والفكر اليوتوبي، وإلى شطرين فكان هناك المؤيد والمناصر لليوتوبيا، وهناك المعارض والمعادي لليوتوبيا والأفكار اليوتوبية، وأصبح الموالون للفكر اليوتوبي مستمرين في ذلك لأنهم يرون فيها **هذه الصفات الحسنة:**

- أن هذا الفكر ينظر إلى الواقع في ضوء الأماني والآمال غير المتحققة، والتي يبحث ويتطلع أن يتم تحقيقها في المستقبل.
- أنه ينظر إلى الواقع بعيون ساخطة، ولذلك يصبح هذا الفكر الأقدر على رؤية وفضح تناقضات وعيوب هذا الواقع، ويهاجم المذاهب الفكرية التي تحرص على الإبقاء على حالة الواقع الراهنة أنها مذاهب أيديولوجية معيبة.
- ديناميكية الفكر اليوتوبي في الهجوم على الواقع ونقده والدعوة للمستقبل وتخطيطه له، وجدلية هذه العلاقة داخل الفكر اليوتوبي.
- أنه الأمل الذي يدفع البشرية للحركة والفعل، وعدم الركون للواقع، والدافعية إلى الحركة في اتجاه الأفضل.

أما معارضو الفكر اليوتوبي، فقد بنوا معارضتهم له على:

- أنه فكر جزئي محدود، يقوم على القفز من الواقع للمستقبل، غير عابئ بحاضر هذا الواقع ومعطياته وظروفه.
- أنه فكر مبالغ في تصوراته السلبية تجاه الواقع المعيش.
- أنه فكر خيالي لا يستند إلى أرض الواقع، ولا يحسب صعوبات المستقبل.
- أنه فكر غير علمي، وغير منضبط، وخططه مستحيلة التحقق في هذا العالم[١٢].

لقد بات من الواضح أن نقطة الارتكاز، والتي تؤدي إلى صعوبة الفصل والتمييز بين الأيديولوجيا واليوتوبيا هي الواقع.

---

[١١] للاطلاع على بعض هذه المحاولات انظر: ماريا لويزا برنياري، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، عدد ٢٢٥، سلسلة عالم المعرفة.

Laddier Harry W. social Economic Movements, An Historical and comparative survey of socialism, communism, co-operation, utopianism, and other systems of Reform and Reconstruction, (London, Routledge and Kegan paul, 1960.

[١٢] كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا في سوسيولوجيا المعرفة، ص٥٠.

فإن كلا الدائرتين مجالهما الواقع، فالأيديولوجيا تتضمن جانب الفكر وجانب العمل، حيث مجموعة الأفكار والآليات التي تقوم بترجمتها إلى واقع عملي، وقد تنجح الأيديولوجيا وقد تفشل، وربما يكون سبب الفشل الزيف المتعمد من قبل صانعيها لتثبيت وضع اجتماعي بعينه، لمصلحة طبقة أو نخبة ما.

أما اليوتوبيا، فإنها وإن كانت تبدأ من الواقع، إلا أنها توجه السلوك الإنساني إلى عناصر لا يحتويها ذلك الواقع، وقد تنجح في نشاطها المعارض في تحويل الواقع القائم، إلى واقع يتطابق ويأتلف مع مفاهيمها، حتى وإن كانت هذه المفاهيم لم تدخل بعد أو يستحيل أن تدخل مرحلة التنفيذ العملي[١٣].

لقد حقق كارل مانهايم (١٨٩٣-١٩٤٧) المعادلة الصعبة واستطاع تحقيق هذا الاتصال والتلازم بين الأيديولوجيا واليوتوبيا، فيعد أول الفلاسفة والمفكرين الذين استطاعوا تلمس وشائج القربى، والعلاقة الجدلية بين هاتين الدائرتين، فقد كانت العلاقة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا هو رد كارل مانهايم الحاسم على مسألة فصل الفكر عن الواقع (الوجود)، أو النظرية عن التطبيق في المعرفة الإنسانية، حيث تعد مسألة العلاقة بين الفكر والوجود من القضايا المهمة، انطلاقا في السابق من ارتباط رهان تشكيل المعرفة الموضوعية بالبنية الاجتماعية والتاريخية؛ والذي تطور في شكل جدلي بين الحقائق الجزئية النسبية والحقيقة الكلية المطلقة المتعالية، أدى لتكون صورتين: الأولى: ترى أن الحقيقة المطلقة غير المتأثرة بالحتمية الاجتماعية والتاريخية هي الفاعل الرئيس في التفسير العقلاني للعالم الخارجي المتغير، والصورة الثانية: تعد تصورًا واقعيًّا- وضعيًّا، ويري أن الفكر هو محصلة للظروف المحيطة بالذات الإنسانية، وهو ما انطلق من خلاله كارل مانهايم محاولًا إثبات عدم التطابق بين الفكر والوجود، وذلك من خلال الدراسة المتلازمة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا، وإدراكه صعوبة التفريق بينهما عند الدراسة، والذى مرجعه أن العنصرين الأيديولوجي واليوتوبي في الفكر الإنساني منفصلان عن بعضهما البعض في العملية التاريخية[١٤].

---

[١٣] عبد الله الأنصاري، الأيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، ص١٠١.

[١٤] كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ترجمة محمد رجاء الديريني، ص١٨.،

محمد أمين بن جيالي، الأيديولوجيا واليوتوبيا في فكر مانهايم (تأصيلات نظرية في الممارسة السياسية)، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ع٦٤، ٢٠١٧م، ص٢٣٤.

(ISSN: 2536 - 9555)

يري مانهايم أنه لكى يتم إيضاح كلًّا من الأيديولوجيا واليوتوبيا، فإنه سيقوم أولًا بتوضيح معاني الأيديولوجيا ثم ينتقل إلى اليوتوبيا. لقد ارتبط معنى (الأيديولوجيا) في أذهان الناس بالماركسية، ولذلك تحدد ردود أفعالهم وآراؤهم حول هذا المصطلح بهذا التصور، ويرى مانهايم أنه بالرغم من الدور الجوهرى الذي لعبته الماركسية في عرض هذا المفهوم والمشكلات المتعلقة به، إلا أن هذا المصطلح ومعانيه يعد أبعد وأعمق في التاريخ من الماركسية نفسها، ولذلك نرى بعض المعاني التي ظهرت لهذا المصطلح بجوار ما طرحته الماركسية، مع الاستقلال الكامل عنها.

يرى كارل مانهايم أن أفضل المداخل إلى موضوع (الأيديولوجيا) هو تحليل معاني هذا المصطلح، مع التمييز بين الاختلافات الدقيقة في المعنى، التي تتداخل مسببة التزييف، وكلما عرضنا الاختلافات في معاني هذا المصطلح بصورة أعمق وأدق، أدى ذلك للوصول إلى تحليل هذا المفهوم تاريخيًّا وسوسيولوجيًّا. وقد تبين من تحليل هذا المصطلح أنه يوجد بصورة واضحة معنيان متميزان وقابلان للانفصال لمفهوم (الأيديولوجيا)، وهما المعنى الجزئي والمعنى الكلي.

* **فالمعنى الجزئي للأيديولوجيا:** هو المقصود ضمنا عندما تدل الكلمة على أننا نتخذ موقفًا متشككًا تجاه الأفكار والتصورات التي يتقدم بها خصمنا، إذ تعتبر تمويهات واعية، تخفي الطبيعة الحقيقية لوضع لن يكون الاعتراف بحقيقته متفقًا مع مصالح هذا الخصم. وتتراوح هذه التحريفات بين الأكاذيب المقصودة، والمحاولات المتعمدة لخداع الآخرين أو النفس. أو هو الموقف الشكي أو الارتيابي الذي نقفه من أفكار الخصم أو تصوراته، حينما ننظر إلى هذه الأفكار أو تلك التصورات على أنها تغطية شعورية لطبيعة الموقف الحقيقية، نظرًا لأن الاعتراف بحقيقة الموقف لا يتلاءم مع مصالح الشخص المشار إليه[١٥].

* **المعنى الكلي للأيديولوجيا:** فإننا نشير إلى أيديولوجيا عصر ما أو جماعة تاريخية معينة، كأيديولوجيا طبقة بعينها، عندما يكون هدفنا أن نوضح سمات وتركيب البناء الكلي لعقلية ذلك العصر أو تلك الجماعة.

---

[١٥] كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ترجمة رجاء الديريني، ص١٢٩، زكريا إبراهيم، مشكلات فلسفية، ٤ مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر، القاهرة، ص١٨٣–١٨٤.

فهو مجموع التصورات التي تعتنقها الطبقة أو الحقبة أو الفئة، آملة من ورائها أن تبرر موقفها تجاه المجتمع، وينصب ذلك على التكوين العام، أو السمات المشتركة التي تميز التفكير الكلي لطبقة ما أو جماعة أو فئة معينة، وبالتالي فهو يبين أوجه التقابل بين الموقف الاجتماعي من جهة، وأشكال المعرفة من جهة أخرى[١٦].

ومن الملاحظ أن كلا التعريفين الجزئي والكلي بينهما عناصر مشتركة:

- كلاهما يرفض الاعتماد على أقاويل الخصم، ويحاول الكشف عما وراءها من مقصد خفي ودلالة مستترة.
- الانطلاق لمعرفة ما يقال باتباع منهج البحث غير المباشر، بتحليل الظروف الاجتماعية التي تحيط بالفرد والفئة الاجتماعية، وهذا يعني أن الآراء والتصريحات والظروف والأنساق الفكرية، لا تؤخذ على أساس قيمتها الظاهرة للعيان، ولكن يتم تفسيرها في ضوء الوضعية الاجتماعية للفرد أو الفئة الاجتماعية، والتي تنعكس في صورة ما يصدر عن الفرد والفئة من آراء وأفكار، وعليه فإن التعريفين الجزئي والكلي للأيديولوجيا يجعلان الآراء والأفكار تقوم بمهمة الحفاظ للفرد على مركزه داخل محيطه الاجتماعي[١٧].

وبالرغم من تلك العناصر المشتركة بين المفهوم الجزئي والمفهوم الكلي للأيديولوجيا، فإنه ثمة عناصر أخرى مختلفة أو متنافرة تفصل بين هذين التعريفين.

- إذا كان التصور الجزئي للأيديولوجيا لا يطلق المصطلح إلا على جزء من أقوال الخصم، فإن بوصفها أيديولوجيات، فإن التصور الكلي يرتاب ويشك في نظرة الخصم إلى العالم بأسرها، بما في ذلك المفاهيم التي يستخدمها، ويصل إلى أن هذه المفاهيم نتاج للحياة الجماعية التي يشارك فيها الخصم.
- يحدد التصور الجزئي للأيديولوجيا تحليله للأفكار على المستوى السيكولوجي، وذلك لبقاء إطار كلي مشترك يجمع الطرفين، يمكن الرجوع إليه.

---

[١٦] كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ترجمة رجاء الديريني، ص١٢٩.، زكريا إبراهيم، مشكلات فلسفية، ٤ مشكلة الفلسفة، ص١٨٤.، زهير توفيق، الأيديولوجيا واليوتوبيا، صحيفة الرأي الثقافي، الكويت، مقال، ٣٠-١-٢٠٠٥م.

[١٧] عبد الله الأنصاري، الأيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، ص١٤٠.

(ISSN: 2536 - 9555)

أما التصور الكلي للأيديولوجيا يرى أن الاختلاف بين الطرفين في التصور، يعنى الاختلاف والقطيعة بين حقبة أو عالم فكري معين، وحقبة أخرى وعالم فكرى آخر، يدل على التوازن على البون الشاسع بين الطرفين، والانفصال التام في التصورات والأفكار والمقولات، وكأن الطرفين من عالمين مختلفين. وبالتالي فإن هذين الأسلوبين في تحليل الآراء والأفكار الأول يسير على النطاق النفسي، بينما يعمل الثاني على المستوى العقلي (الذهني).

- التعريف الجزئي للأيديولوجيا يعمل على سيكولوجية الاهتمامات والمصالح، بينما التصور الكلي أو التعريف الكلي يستخدم تحليلًا وظيفيًّا شكليًّا دون إشارة للدوافع، فيكون في نطاق الوصف الموضوعي للفروق البنائية الموجودة بين العقليات التي تعمل في تراكيب اجتماعية مختلفة، فالتصور الجزئي يفترض أن الاهتمام يكون سبب في الكذب والتمويه، أما التصور الكلي فيفترض التطابق المسبق بين وضع اجتماعي معين ومنظور معين، وهنا تبرز الحاجة لتحليل مجموعة من الاهتمامات لتمييز الوضع الكلي[١٨].

أما اليوتوبيا فهي ذلك النمط من التوجه، الذي يتسامى على الأمر الواقع ويحطم في الوقت ذاته حدود النظام القائم.

فإن اليوتوبيا تكون بالتعارض مع حالة الواقع الذي تحيا فيه، وذلك في الخبرة والفكر والممارسة، بالتوجه نحو أشياء غير موجودة في هذا الواقع، محاولة إحداث تغيير عن طريق تدمير النظام السائد، على أن الشرط الفارق بين اليوتوبيا والأيديولوجيا، هو التحرك الفعلي أو السعي إلى تفجير النظام القائم، وليس فقط السمو على الأمر الواقع، والتحليق الخيالي في عالم بعيد خارج التاريخ والمجتمع دون تأثير في الوضع الراهن[١٩].

وبهذا المعنى، فإنه وفقا لكارل مانهايم فإن اليوتوبيا والأيديولوجيا يلتقيان في أرضية مشتركة وهى وجود أفكار متسامية في مراحل وفترات من التاريخ، ولكن الفيصل لأن تظل هذه الأفكار مجرد أيديولوجيات أو أن تتحول إلى يوتوبيات هو الفعل الذي يقوم بالكسر سواء الجزئي أو الكلي للوضع القائم، أما ما يظل قيد الفكر مع التكامل مع

---

[١٨] كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ترجمة رجاء الديريني، ص١٣١.، المرجع السابق، ص١٤٢.

[١٩] المصدر السابق، ص٢٤٧.

الوضع الراهن فإنه يظل أيديولوجية، وهذا مما يوضح الارتباط الشديد والتداخل بين الأيديولوجيا واليوتوبيا والعلاقة الجدلية بينهما.

ومن حركة الجدل والتناقض بين رغبة الأيديولوجيا في ترسيخ الوضع القائم وتجذيره، وحالة الاغتراب التي يعانى منها الأفراد لوجود مساحة شاسعة بين ما يأملون فيه (اليوتوبيا)، وما هو كائن فعلا (الأيديولوجيات)، تبزغ وتشرق الرغبة في التغيير والتحول والقضاء على هذا الاغتراب النفسي، والذي يفسر العلاقة بين مجرد الأماني وبين ما هو واقع[٢٠].

وفي خضم الجدل بين الأيديولوجيا واليوتوبيا، ومحاولة الانتقال إلى اليوتوبيا، يسوق كارل مانهايم التحول الذي يتم في الفكر اليوتوبي **ويقسمه إلى أربع مراحل أو أربعة أشكال هي:**

١- يوتوبيا المعتقدين بإعادة التعميد وظهور السيد المسيح على الأرض.
٢- يوتوبيا المنادين بالليبرالية الإنسانية.
٣- يوتوبيا المنادين بالاتجاه المحافظ التوافقي.
٤- يوتوبيا المنادين بالاشتراكية- الشيوعية[٢١].

لقد رأى كارل مانهايم أنه إذا كان الجدل القائم بين الأيديولوجيا واليوتوبيا هو مسألة التحول والتغيير، لأن الأيديولوجيا في كثير من الأحيان تكون مصدرا للأمراض الاجتماعية والتصلبات السياسية والانغلاقات الدينية والانزلاقات التاريخية، فإن اليوتوبيا تتدخل لتغيير الوضع السائد نحو طريق بعيد عن الأسباب المؤدية إلى اختلالات النظام الاجتماعي، ولذلك قام بحصر هذه العوائق ومحاولة تصويبها، والتي تحول دون هذا التحول، وحتى يتم القضاء على هذه العوائق فإن مانهايم قد دعا إلى إعادة النظر وتغيير التصور تجاه هذه العوامل، ما يساعد على التحرك من الحالة السكونية إلى الحالة الديناميكية، وقد حصر مانهايم هذه العوائق في ثلاث هي:

أولًا: الوعي الزائف والذي يتشكل بسبب بعض العوامل المتعالية والدينية ويتم تصويبه بالبحث عن معيار جديد يتم من خلاله الممارسة الفاعلة في المجتمع باستخدام المذهب البرجماتي.

---

[٢٠] عبد الله الأنصاري، الأيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة، ص١٧٧.

[٢١] كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ترجمة رجاء الديريني، ص٢٦٢، ٢٧٠، ٢٧٩، ٢٨٧.، المرجع السابق، ص١٧٧-١٨٠.

(ISSN: 2536 - 9555)

ثانيًا: الأمر الواقع وذلك بالنظر إلى تصور الوجود في ذاته، تلك المشكلة الفلسفية، والتحول عنها إلى الناحية السوسيولوجية بالنظر إلى الوجود بوجه عام ضمن سياق تاريخي ومجتمعي، وذلك وفقا لمعطيات الوجود الفعال، كنظام اجتماعي يؤدي وظائفه فعليًا.

ثالثًا: الحقيقة التي ترى أن الكلمة نفسها تعنى في معظم الحالات أشياء مختلفة حين يستعملها أشخاص آخرون في أوضاع مختلفة، فالبحث عن الحقيقة هو محاولة للهروب من الانحرافات الأيديولوجية واليوتوبية[٢٢].

ونرى أن الثلاث عوامل تتشابك مع بعضها في علاقة جدلية، فالحقيقة والأمر الواقع يلحان على ضرورة أن تقاس كل فكرة بمدى تطابقها واتفاقها وانسجامها في المجتمع، وذلك بعد التخلص من الوعي الزائف، وقد قام مانهايم بوضع هذه العوامل وفق نظرية في نسبة الأيديولوجيا واليوتوبيا داخل حقل سوسيولوجيا المعرفة، والذي يكون وفقا له من هذا الفرع لمعرفة دائرتي الأيديولوجيا واليوتوبيا في أي وضع نسبي، مرتبط بمجموعة من الملابسات الاجتماعية التاريخية، ولذلك فإن كل عصر يتطور وفق نمط خاص من الفكر، ونظرًا لاختلاف الأطروحات، ونسبية هذه الحالات فإن ذلك هو ما يجعل المقارنة بين هذه الأنماط مستحيلة[٢٣].

على الرغم من الدور المهم الذي قام به كارل مانهايم في دراسة الأيديولوجيا واليوتوبيا في إطار واحد، والبحث عن أرضية مشتركة وعلاقات جدلية بين هذين المفهومين، إلا أن مجمل ما قدمه مانهايم كان يدور في منطقة سوسيولوجيا المعرفة، لكن بالطبع لا ينكر الدور الخطير الذي لعبه في مسعى البحث المعرفي، فلقد كان المعتاد النظر إلى الأيديولوجيا على أنها موضوع يقع في المنطقة الوسطى بين علم الاجتماع وعلم السياسة، بينما تدخل اليوتوبيا في إطار البحث التاريخي والأدبي، ولذلك فإن أحدًا لا يستطيع إنكار قيمة ما قدمه مانهايم كمرحلة أو محطة من محطات البحث عن منطقة تجمع هاتين الدائرتين في قالب واحد، والبحث عن العلاقة التي تربط بينهما،

---

[٢٢] محمد أمين بن جيالي، الأيديولوجيا واليوتوبيا في فكر مانهايم: تأصيلات نظرية في الممارسة السياسية، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، عدد٦٤، ٢٠١٧م، ص٢٣٧.

[٢٣] المرجع السابق، نفسه.

وهذه هي طبيعة العلوم والمعارف الإنسانية، لكن هذا الموضوع قد تطور بعد كارل مانهايم، واتسع وصار أكثر إحكاما، بل وعمقًا فلسفيًّا مع بول ريكور.

لقد استطاع بول ريكور، إقامة مقابلة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا توضح معالم كلًّا منهما، وتؤشر الحدود بينهما على أفضل ما يكون، كما استطاع توضيح الاختلافات بينهما، وكذلك إيضاح الصياغات المفهومية الأقدم، حيث كان يتم مقابلة الأيديولوجيا مع الواقع والعلم، بينما كانت اليوتوبيا تعتبر على أفضل حال ضربا من الحلم أو الخيال الدال على رغبة ما.

إن دراسة هذين الموضوعين (الأيديولوجيا واليوتوبيا) هي محاولة– كما يرى ريكور– لإيضاح الطريقة التي نتخذ بها موقعًا لنا في التاريخ عبر عملية اتصالية تربط تطلعاتنا نحو المستقبل، والتقاليد الموروثة من الماضي، وفعاليتنا وإسهامنا في الحاضر، ويتم ذلك وفق آلية الخيال الجمعي (المتخيل) أو (المخيال)، ويتجلى في صورتين أو يظهر في شكلين هما (الأيديولوجيا) و(اليوتوبيا)[٢٤].

لقد وجد ريكور أن عملية البحث في هذين الموضوعين تتعرض لصعوبات عدة:

- كل دائرة من هاتين الدائرتين يتقاسمها جزء إيجابي جدلي وآخر سلبي مرضي، مما يؤدي إلى صعوبة الوصول إلى فهم للوظيفة الاجتماعية للمتخيل الجمعي.
- كلا الدائرتين لها وظيفة بناءة وأخرى هدامة.
- أن الظاهر للعيان عند الدراسة السطحية لهذين الموضوعين أن الجانب المرضي أو المعيب من هذين القطبين هو الظاهر، وكأنه المعبر عنهما حقيقة، حتى إنهما عند تعريفهما يتصدران الوجهة[٢٥].

يعرف ريكور الأيديولوجيا: بأنها مجموعة الالتواءات والإخفاءات التي يتم بواسطتها حجب وضعنا الطبقي، وصيغة انتمائنا إلى مختلف العشائر والمؤسسات التي نشارك فيها وننتمي إليها، وعندئذ تكون الأيديولوجيا في حالة اندماج في وضع اجتماعي مزيف، أو الاندراج في وهم حامٍ لوضعنا الاجتماعي، مع كل ما يشتمل عليه من امتيازات ومظالم.

---

[٢٤] بول ريكور، الخيال الاجتماعي ومسألة الأيديولوجيا واليوتوبيا، ترجمة: عبد الحق منصف، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية، تونس، ع٧، ١٩٨٨م، ص١٩.

[٢٥] بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة: محمد برادة، وحسان بورقية، ص٢٩٩.

(ISSN: 2536 - 9555)

أما اليوتوبيا فإنها في الاتجاه المعاكس للأيديولوجيا، ويعرفها بوصفها عملية هروب من الواقع، ونوعًا من الخيال العلمي المطبق على السياسة، كنوع من الحكم الاجتماعي غير المكترث بالخطوات الواقعية الضرورية للتحرك باتجاه مجتمع جديد[٢٦].

أ- إشكاليات الأيديولوجيا:

يقدم ريكور في سبيل طرحه لإشكاليات الأيديولوجيا، ثلاثة استعمالات رئيسة تحدد مجمل هذه الإشكاليات، حيث تعتبر إظهارًا لمفهوم الأيديولوجيا، وتتطابق مع ثلاثة مستويات تمثل عمق هذا الموضوع.

* **الاستعمال الأول:** الأيديولوجيا باعتبارها التواءً وإخفاءً وقلبًا وتشويها للواقع ويندرج هذا الاستعمال تحت وظيفة التحريف، وينطلق ريكور في هذا الاستعمال من المفهوم الماركسي للأيديولوجيا، والذي يعتبر الأيديولوجيا إنتاجا لصورة مقلوبة للواقع، ولذلك فإن فكرة التحريف هنا تحدد على أنها التشويه عن طريق القلب (Deformation by inversion)، والملاحظ أن الأمر الأساسي والحاسم حسب المفهوم الماركسي، أن الأيديولوجيا أصبحت تعرف حسب المحتوى والوظيفة، وليس الوظيفة فقط، أما المحتوى بالنسبة لماركس فقد استعاره من فيورباخ، والذي اعتبر الدين بمثابة التواء وإخفاء للواقع، فالدين لم يعد مثالًا على الأيديولوجيا بل أصبح هو الأيديولوجيا نفسها، بهذا المعنى اعتبر ماركس ما قام به فيورباخ من نقد للدين النموذج لتأويل عمليات القلب والصور المقلوبة، وقد سعى ماركس بالمثل في استعمال تصور فيورباخ، عن طريق العلاقة التي يقيمها ماركس بين التمثيلات وواقع الحياة الذي هو الممارسة، ومن هنا ننتقل من المعنى المحدود إلى المعنى الكلي أو العام لكلمة أيديولوجيا، والتي تعني وجود حياة واقعية للناس وهي ممارستهم، وهناك انعكاس لتلك الحياة في مخيلتهم وهو الأيديولوجيا، التي هي الإجراء العام والذي يتم بواسطته تزييف حركة الحياة الواقعية عن طريق التمثيل المتخيل الذي يصنعه الناس لتلك الحركة، وهنا يبرز ارتباط المهمة الثورية بنظرية الأيديولوجيا.

فإذا كانت الأيديولوجيا صورة مشوهة وقلبا للحياة الواقعية وإخفاءً لها، فإن ذلك يتم عن طريق الدين وفق حركة حياة الناس التاريخية والتي تجعلهم يقفون على رءوسهم أو

[٢٦] المصدر السابق، نفسه.، يوسف محسن، الأيديولوجيا واليوتوبيا كمخيلة ثقافية، مجلة الحوار المتمدن، ع٢٩٣٠، فبراير ٢٠١٠م.

يمشون على رءوسهم، وهنا يكون القلب للسماء والأرض حيث يستبدل الناس الحياة الواقعية على الأرض بتصورات عن السماء، فيتركون الأصل ويتبعون الانعكاس، إن إنزال الأفكار من سماء المتخيل إلى أرض الممارسة– والذي يعد تعريف للمادية التاريخية التي لم يكن لها طمع في أن تشمل مجموع الأشياء– والذي يعنى إعادة ربط عالم التمثيلات بعالم الحياة الحقيقية أي البراكسيس[٢٧].

ولكن يري ريكور أنه ينبغي التخلص والتجاوز لهذا التحليل الضيق والذي يعتبر الدين وحده محتوى تعرف (الأيديولوجيا) من خلاله، إذ إن الفرضية الماركسية التي تربط الوظيفة التحريفية بالطبقة المسيطرة على السلطة يمكن تطبيقها من حيث المبدأ على أي نظام من الفكر، وليس الدين وحده له نفس الوظيفة، لذلك وجب فصل الوظيفة الأيديولوجية عن المحتوى الأيديولوجي، وهو ما حدث بالفعل مع بعض الاتجاهات الفلسفية والاجتماعية، والتي تمثل اتجاهات بعضها ماركسي مثل مدرسة فرانكفورت وهابرماس وغيرهم، حيث النظر إلى العلم والتكنولوجيا بوصفهما يقومان بالدور الأيديولوجي نفسه فيما يتعلق بهيمنة النظام العسكري– الصناعي للرأسمالية المتقدمة، وما يمكن أن تستفيده من التصور الماركسي للأيديولوجيا من خلال ربطها بالمعايير الأخرى، وفصلها المحتوى الأيديولوجي عن وظيفتها هو إبراز النقدية الكامنة فيه، والحيلولة دون أن تستخدم الأيديولوجيا الماركسية نفسها للتحريف والإخفاء، والذي يرتبط بهيمنة السلطة، أو بالفعل القمعي لها والعنف الذي يصاحبه[٢٨].

*** الاستعمال الثاني: الأيديولوجيا باعتبارها تبريرًا**

ويقع هذا الاستعمال ضمن وظيفة الخداع، وهنا نكون قد وصلنا إلى مرحلة في الأيديولوجيا أقل تزييفا حيث التبرير سمة هذه المرحلة، وهو ما أكده ماركس حينما تحدث عن أن أفكار الطبقة المسيطرة تصبح هي المسيطرة، وذلك بإضفائها على نفسها صفة الأفكار الكونية، هنا تصير المصالح الخاصة لطبقة ما خاصة، هي مصالح كونية، وهنا يأتي التبرير عن طريق وظيفة الخداع، وذلك لتبرير السيطرة نفسها التي

---

[٢٧] بول ريكور، الخيال الاجتماعي ومسألة الأيديولوجيا واليوطوبيا، ترجمة: عبد الحق منصف، ص٢١–٢٢.، وبول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة: محمد برادة، وحسان بورقية، ص٣٠٠–٣٠١.

[٢٨] عالية الشوبكي، نظرية التأويل عند بول ريكور، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية: عمان، ١٩٩٥م، ص٨٨–٨٩.

(ISSN: 2536 - 9555)

تمارسها السلطة أو الطبقة المسيطرة. وهذه المشكلة تتجاوز بكثير مشكلة الطبقات الاجتماعية، فكل طبقة مسيطرة لا بد أن يكون لها لجوء إلى المقولات القادرة على الإيهام بكونيتها، أي صالحيتها للجميع، واللغة بالطبع هي التي تمدها بهذا المدد، متمثلة في البلاغة المحملة بأفكار كونية مزعومة، والعلاقة بين السيطرة والبلاغة قد تمت منذ قديم الزمان، وقد نبه أفلاطون إلى ذلك عندما تحدث عن عدم وجود طغيان دون مساعدة سوفسطائي، فالقوة وحدها لا تكفي دون أن يصاحبها ممارسة للإقناع يتولاها السوفسطائيون، فليس هناك مجتمع يعمل بدون معايير وقواعد ورمزية اجتماعية، تتطلب بلاغة في الخطاب، حتى يتم الإقناع، وذلك باستخدام الوجوه البلاغية المختلفة والاستعارات مثل السخرية، والالتباس، والمفارقة، والمبالغة.....، وكل هذه الأساليب مألوفة في النقد الأدبي والبلاغة، وذلك يعد اشتغالا عاديًّا للخطاب الممزوج بالفعل، الذي كان ماركس يسميه البراكسيس، وتتحول بلاغة الخطاب هذه إلى أيديولوجيا حينما تكون موظفة في خدمة استمرارية السلطة وإضفاء المشروعية عليها[٢٩].

وهنا يتفق ريكور مع ماكس فيبر في تحليله للسلطة والهيمنة، فالسلطة تبحث عن مشروعية ترتبط بإيمان أفراد المجتمع بها، إلا أن هذه العلاقة بين المشروعية والقبول بها علاقة غير متساوقة (Asymmetrical)، فإن ادعاء المشروعية دائما ما يكون فيه فائض قيمة أكبر بكثير مما يحمله الإيمان به، وهنا تبرز وظيفة الخداع الأيديولوجية، والذي يتم عن طريقه وبآلية مزدوجة، مرسلًا لفائض القيمة وفي الوقت ذاته نظامًا تبريريًّا للهيمنة.

وهنا في ختام هذه النقطة، فإننا نلاحظ أننا لا نفكر في الأيديولوجيا، ولكننا نفكر من خلالها، فكذلك نحن لا نرغب في السلطة، ولكن نرغب من خلالها، فهي تسيطر وتهيمن على رغباتنا فلا نستطيع أن نرغب إلا من خلال ما تقدمه لنا من خيارات، وبتوضيح العبارة فإننا لا نريد السلطة ولكننا لا نستطيع أن نريد أو ننجز ما نريد إلا في وجود سلطة ما، أكدها القرار الذي بموجبه أصبح مجتمع ما واقعة سياسية[٣٠].

*** الاستعمال الثالث: الأيديولوجيا باعتبارها إدماجًا**

ويقع هذا الاستعمال ضمن وظيفة التوحيد، وهنا يتعلق الأمر بالأمور التي تؤدي إلى تجمع الأمة، عن طريق الأحداث التي تعتبرها مؤسسة لهويتها، وهو ما يخص البنية

---

[٢٩] بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة: محمد برادة، وحسان بورقية، ص٣٠٢.

[٣٠] عالية الشوبكي، نظرية التأويل عند بول ريكور، رسالة ماجستير، ص٨٧–٨٨.

الرمزية للذاكرة الاجتماعية، ويكون دور الأيديولوجيا الوسيط، حيث حاجة المجتمع في أن يكشف صورة نموذجية عن نفسه، يتمثلها ويحاول أن يحققها، ومن الممكن أن نتتبع حركة الأيديولوجيا في هذا الاستعمال الإدماجي عبر خمس مراحل نوعية، هي:

١- مرحلة التوحيد الاجتماعي، حيث ظهور للأيديولوجيا بصورة مرتبطة بحاجة المجتمع لتمثل صورة عن نفسه، وأن يحققها في الواقع الفعلي، وهنا اللجوء بحدث تأسيسي أو تدشيني كأصل لهذا المجتمع، وهنا تبقي وظيفة الأيديولوجيا تعبوية أو تحريكية، قبل الحدث التأسيسي وأثناءه، أو تكون محاولة تهدئة للوضع الانفعالي للمجتمع، والذي يحدث عقب حدث ثوري، ويكون دور الأيديولوجيا في هذه المرحلة أيضا نشر الإيمان الراسخ بما حدث مع دائرة الآباء المؤسسين، وجعله عقيدة لكل أفراد المجتمع، مع تخليد للحدث الأول وعقلنته واستعادته بطريقة إجماعية.

٢- مرحلة الدينامية، وذلك بتحديد فعالية الممارسة الاجتماعية، والتي تؤكد على أن الوضع الذي يحياه المجتمع إنما يكون بإرادته، وهذه الإرادة تتجلى من خلال قوة تأسيسية ثانية، فيما يتعلق بالمشاريع والمؤسسات التي تتخذ من خلالها الأيديولوجيا الدافعية والاستمرارية في ترسيخ الإيمان بعدالة وضرورية الفعل المؤسس.

٣- مرحلة التبسيط والتخطيط، وذلك بإعطاء صورة عامة ورؤية إجمالية عن المجتمع والتاريخ والعالم، وذلك بالسعي إلى تعزيز تأثيرها الاجتماعي، على حساب دقة وقوة الفكر، عن طريق التحول إلى الاعتقاد، بدمج القيم جميعا سواء الأخلاقية أو الدينية أو الفكرية، كموضوعات قابلة لتصبح ضمن هذه الأيديولوجيا أو تلك.

٤- مرحلة اللاشفافية وعدم الوضوح للأيديولوجيا كموضوع، ويحدث عن طريق تأثير الأيديولوجيا في السلوك الإنساني داخل المجتمع، يجعل الانسان خاضعا لهذه الأيديولوجيا، يعيش ويفكر من خلالها، فهي تحركه وتدفعه دون وعي منه تجاهها كموضوع له، فلا يعد يدري الحد الفاصل بينهما.

٥- مرحلة الجمود والتحول إلى الوضع الواقع المرفوض ثم الزوال، وهنا يبرز العنصر الزماني الذي يحدد الأيديولوجيا في العلاقة الجدلية بين القديم والجديد، وهنا تقوم الأيديولوجيا بوضع نموذج من ترسبات التجربة الاجتماعية المؤسسة، غير ملائم وغير مناسب مع الوقائع الجديدة التي يمر بها المجتمع ويحياها على أرض الواقع، والتي تكون وقائع غير مستوعبة في التجربة الأولي المؤسسة، وذلك لاختلاف

(ISSN: 2536 - 9555)

العصور واختلاف الأوضاع والتجارب التي يمر بها المجتمع، مما يعرض هذا المجتمع لصراع الأيديولوجيا التي تبدو محافظة ومتعصبة مع التطور البشري الذي لا يتوقف، مما يؤدي لتدمير طاقة هذا المجتمع، وتدمير هذه الأيديولوجيا، التي يخفت دورها تدريجيًّا وتضعف ديناميتها إيذانًا بانتهائها، وبزوغ أيديولوجيا جديدة[٣١].

يري ريكور أنه على الرغم من هذا التدهور الذى يلحق بالأيديولوجيا، لكن لا أحد ينسي الدور البناء والإيجابي لها، وفكرة تأسيسها بوصفها فكرة أو صورة تؤسس من خلالها جماعة ما وجودها في العالم بوضع مثال أو نموذج، ويقوم هذا النموذج أو الفكرة بدعم هوية هذه الجماعة.

لكن الأيديولوجيا الإدماجية هذه تتحول من خلال تطورها إلى محاولة لإضفاء الشرعية، فإنها تحمل في باطن وظيفتها الإدماجية الفساد لسيرورة إضفاء المشروعية، المغروس في تلك الأيديولوجيا من ناحية، ومن ناحية أخرى نتيجة بحثها عن النموذج أو المثال فإنها تقع في الالتواء والاخفاء والتشويه، وبذلك يكون ريكور قد استطاع ربط الاستعمالات الثلاث للأيديولوجيا أو المفاهيم الثلاث للأيديولوجيا بعلاقة جدلية من الصورة الإيجابية إلى التطور المصحوب بالتحول إلى الحالة السلبية، فالزوال ثم العودة إلى الحالة الأولى إيذانًا ببعث جديد.

ب- إشكاليات اليوتوبيا:

لقد وجد ريكور بعد تعرضه لإشكاليات الأيديولوجيا، أنه بما أن اليوتوبيا تلتقي مع الأيديولوجيا في أرضية مشتركة، وهي وضع تأويل شامل يخص الحياة الواقعية، لذلك قرر ريكور وبنفس التقسيم الثلاثي حول استعمالات ومفاهيم الأيديولوجيا وحل إشكالياتها، وضع ثلاثة استعمالات أو وظائف لليوتوبيا مع محاولة تحليل وحل إشكالياتها بالمثل.

إن الحاجة الملحة لأمة ما أو مجتمع ما نحو تدعيم الواقع الاجتماعي الذي تحياه بالتأويل- لا يعد من دائرة الوظائف الكاذبة أو الخادعة أو السلبية، على الرغم من أنها تكون ملازمة دائما أو مباطنة لوظيفتي إضفاء المشروعية (التبرير) والإدماج، التي تكون أكثر ملازمة وحضورا معها، فالفئة الاجتماعية تؤمن بهويتها الخاصة بوساطة

[٣١] بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة: محمد برادة وحسان بورقية، ص٣٠٤، والمرجع السابق، ص٨٥-٨٧.

الأيديولوجيا، وعلى هذا فالأيديولوجيا في أشكالها واستعمالاتها الثلاثة تدعم وجود المجموعة الإنسانية، وتقويه وتضاعفه، وتضمن بقاءه واستمراره. وبالتالي فهي تحافظ على هذه الفئة كما هي[٣٢].

وهنا نلاحظ التشابه الذي تقدمه اليوتوبيا بالأيديولوجيا، ولكن بصورة معكوسة وفي إطار آخر، فالدور الرئيس لليوتوبيا هو التحليق بالمخيلة خارج الواقع في فضاء النفي حيث الـ (لا مكان). وذلك هو المعروف من المعني الحرفي للكلمة، فهو مكان آخر ولكنه منفي أي (لا مكان)، ومن هنا فنحن بحاجة إلى إبراز جانب من اليوتوبيا وهو البرانية الفضائية (مكان آخر)، وبجواره جانب البرانية الزمانية (زمن آخر)[٣٣].

– الاستعمال الأول: اليوتوبيا باعتبارها مساءلة نقدية للواقع

فاليوتوبيا هي التعبير عن كل التطلعات والإمكانات الكامنة داخل المجموعة الإنسانية، والتي تظل مكبوتة بفعل الضغط السياسي والاجتماعي للنظام القائم، ويكون ذلك عبر آلية الخيال بحثا عن طريقة جديدة وغير مألوفة للوجود الاجتماعي العام. وتضع اليوتوبيا تصورها وطريقتها الجديدة موزعة على تكوينات الحياة المختلفة، وذلك بدءا من الحلم بنمط آخر في الوجود العائلي، تلك الدائرة الضيقة، ثم اتساعًا إلى وضع طريقة مخالفة لدائرة امتلاك الأشياء المختلفة واستهلاك الخيرات، ثم وضع كيفية مختلفة لدائرة أخري وهي الحياة السياسية وتنظيمها من جديد، ووضع تصور آخر حتى للدائرة الخاصة بالحياة الدينية لهذا المجتمع[٣٤].

والملاحظ أنه ليس هناك مجال في الحياة إلا وتدخل إليه اليوتوبيا بتصور جديد عنه، حتى إن الدائرة الواحدة من دوائر الوجود قد يتكون حولها العديد من اليوتوبيات، التي تقدم كمشاريع يعارض بعضها البعض في معظم الأحيان، لكنها تشترك فيما بينها جميعا في محاولتها الدائمة نحو نسف وتدمير النظام الاجتماعي القائم بجميع أشكاله من الداخل، ولذلك نجد البون الشاسع بل والمتضاد بين اليوتوبيات وبعضها داخل المحور الاجتماعي الواحد نفسه، ففي دائرة الأسرة نجد يوتوبيات تدعو إلى العفة الرهبانية، وأخرى إلى التهتك الجنسي....، وقد سبق أن أشرنا إلى تلك الأمثلة بالتفصيل في نهاية الفصل السابق.

---

[٣٢] بول ريكور، الخيال الاجتماعي ومسألة الأيديولوجيا واليوطوبيا، ترجمة: عبد الحق منصف، ص٢٦.

[٣٣] بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة: محمد برادة، وحسان بورقية، ص٣٠٦.

[٣٤] بول ريكور، الخيال الاجتماعي ومسألة الأيديولوجيا واليوطوبيا، ترجمة: عبد الحق منصف، ص٢٧.

(ISSN: 2536 - 9555)

ونتيجة كثرة هذه اليوتوبيات واختلافها في الدائرة الواحدة من الدوائر الاجتماعية، فإننا نصل إلى قاعدة أننا لا نستطيع أن نعرف اليوتوبيا بمحتواها، ولكن نستطيع أن نعرفها من وظيفتها، والتي تظهر أيضًا وحدة الظاهرة اليوتوبية، وهذه الوظيفة وهي دائما تكون اقتراح مجتمع جديد يكون بديلًا عن المجتمع القائم، وعن طريق هذا الاقتراح تكون اليوتوبيا الرد على الوظيفة الإدماجية في الأيديولوجيا، فإن الـ (هناك)، (وما يغاير الوجود) في اليوتوبيا، يرد أن على (الوجود هكذا) التي كانت أحد الاستعمالات والتعريفات الرئيسة للأيديولوجيا[٣٥].

– الاستعمال الثاني: اليوتوبيا باعتبارها أداة من أدوات ممارسة السلطة

فإن كل يوتوبيا تريد أن تحقق ذاتها، وتربط مصيرها بالدائرة التي تقوم من خلالها بممارسة السلطة، وذلك على الرغم من أن اليوتوبيا ترفض وتضع موضع التساؤل في كل مجالات الحياة الاجتماعية أشكال السلطة والكيفية التي تمارس بها في المجتمع القائم، فهناك سلطة أسرية ومنزلية، وسلطة اقتصادية واجتماعية.....، ولذلك فإن كل يوتوبيا من اليوتوبيات المختلفة تشكل في ذاتها متغيرًا من المتغيرات والتنويعات الخيالية للخيال الاجتماعي حول السلطة القائمة، وهو ما أكده كارل مانهايم في معرض تعريفه لليوتوبيا، باعتبارها تباعدا يحدث بين الخيال الاجتماعي والواقع، ويشكل ذلك التباعد خطرًا على استقرار هذا الواقع واستمرار هذا المجتمع كما هو.

وهنا يقدم ريكور الحل الأقل راديكالية وتدميرية للمجتمع القائم، مستعيرًا إياه من كارل مانهايم، والذي ساقه في كتابه الأيديولوجيا واليوتوبيا، حيث وجد ريكور ضالته المنشودة من خلال النقلة النوعية التي أحدثها مانهايم، فمن (توماس مور) الذي على الرغم من كونه أول من قدم اليوتوبيا بالمعنى الخيالى الحالم، فإنه ومع (توماس مونتزر) (Thomas MÜnzer)، ذلك المنظر الثيولوجي للثورة وفقا لأرنست بلوخ (Ernest Bloch)، والذي تبلور على يديه تصور اليوتوبيا، فإننا نجد أن هناك فرقا بين تصور مور لليوتوبيا الذي يعد نوعًا من الظواهر الأدبية والأسلوبية الخاصة، وتصور الظاهرة اليوتوبية (الزمني) مع مونتزر الذي يعد أكثر شمولية تتحول بواسطتها اليوتوبيا إلى نوع من الدعوات والمطالبات لتحقيق عاجل وفوري لكل الأحلام التي راكمها الخيال الإنساني عبر الديانة بين اليهودية والمسيحية عبر التمثلات والتصورات المختلفة لفكرة نهاية التاريخ.

[٣٥] بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة: محمد برادة، وحسان بورقية، ص٣٠٧.

وبهذا يريد توماس مونتزر أن يحقق في حاضر الزمن التاريخي المعيش كل ما كان مؤجلًا في الديانة المسيحية إلى نهاية التاريخ الإنساني.

إن كل الاختلافات التي تجعلنا نضع تعارضًا بين أفق الانتظار (التوجه نحو المستقبل)، وأفق التذكر (التوجه نحو الماضي)، وأفق المبادرة والاختيار (التوجه نحو الارتباط بالحاضر) تذوب داخل مطلب ضروري وملح لتحقيق السعادة والحلم بتحقيق المملكة الإلهية السماوية داخل العالم الأرضي، ووسط السيرورة التاريخية[٣٦].

لكن اليوتوبيا في هذا الاستعمال أو المفهوم الذي يقوم على السلطة تتحول إلى صورة مرضية، حيث تولد أنظمة استبدادية تكون في بعض الأحيان أفظع وأسوأ من التي قامت اليوتوبيا من أجل محاربتها، ويعود ذلك إلى ما كان مانهايم يسميه العقلية اليوتوبية، أي العقلية الخيالية التي يغيب عنها أي تفكير ذو طابع عملي أو سياسي، بمعني القطيعة مع الواقع القائم كليًّا والانفصال عنه، ورفض كل مؤسساته رغم ما يمكن أن يكون فيها من نفع، والذي يطلق عليه ريكور (القابل للاعتقاد) المتاح في فترة معينة.

إن اليوتوبيا تمارس النظرة إلى الخارج بالقفز من الواقع مع ما تحمله القفزة من تصورات ودعوات خرقاء ودموية، وبذلك تؤسس اليوتوبيا بهذا الانغلاق والحصار لسجن آخر مشابه لسجن الواقع قد يكون محاطا بأسوار من الخطط والتصورات الخيالية الملزمة والمرغمة أكثر من الواقع، والتي يغيب فيها أي تصور لمنطق الفعل، والعجز عن تحديد الخطوة العملية الأولي اللازمة في اتجاه تحقيق مشروعها انطلاقًا من الواقع الفعلي القائم ذاته[٣٧].

– الاستعمال الثالث: اليوتوبيا باعتبارها مجموعة من الخطط والمشاريع النظرية الشاملة غير القابلة للتحقيق في أرض الواقع

وهنا تبرز خاصية الكلية والتي تعبر عن اليوتوبيا في شقها المرضي حيث منطق الكل أو اللاشيء، وذلك على عكس منطق الفعل المتعقل الذي يعرف أن هناك دائما عدم تطابق بين المأمول والقابل للتحقق فعليًّا، وهو ما لا تعرفه اليوتوبيا، وكذلك هناك ثمة بعض التناقضات الحتمية المتولدة عند الممارسة الفعلية، والتي لا يمكن الانفكاك منها، وذلك مثل التناقض الحاصل بين فكرة العدالة وفكرة المساواة عند التطبيق في المجتمع، وهو ما ترفضه اليوتوبيا أيضًا.

---

[٣٦] بول ريكور، الخيال الاجتماعي ومسألة الأيديولوجيا واليوطوبيا، ترجمة: عبد الحق منصف، ص٢٨.
[٣٧] بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة، وحسان بورقية، ص٣٠٨.

(ISSN: 2536 - 9555)

ونتيجة رفض القبول بفكرة عدم الكلية والشمولية اليوتوبية، والشعور بخيبة الأمل اتجه البعض إلى الهروب من الواقع إلى عالم الكتابة، وتحول البعض الآخر إلى الحنين للنعيم المفقود والانغلاق داخل النوستالجيا الفردوس الضائعة، أو ارتكاب أعمال عدائية داخل المجتمعات كالقتل غير المبرر، وكلها صور تعبر عن عدم التوافق مع الواقع والشعور بالخيبة والضياع نتيجة الهوة بين الأحلام ومتحققاتها الفعلية على أرض الواقع[٣٨].

لقد توصل ريكور في نهاية تحليل هذا المفهوم أو الاستعمال لليوتوبيا إلى أن هذا هو الطريق المسدود الذي يرفض التوقف عنده، بل ويريد العودة لأصل اليوتوبيا ووظيفتها التحريرية، بعيدًا عن المبالغات والتجاوزات المفرطة، فاليوتوبيا بوصفها (لا مكان) تعني البقاء في فضاءات الممكن، والاستمرار على أن تظل مفتوحة، وكذلك تحافظ اليوتوبيا على منع أفق الانتظار من الانصهار والذوبان مع حقل التجربة، وهو ما يبقي على التباعد والمسافة بين الأمل (المستقبل)، والتقليد (الماضي)[٣٩].

ج- جدلية الأيديولوجيا واليوتوبيا:

لقد أثبتت الإشكاليات التي عرضناها قبل قليل مدى الارتباط بين الأيديولوجيا واليوتوبيا، والعلاقة التي تنشأ بينهما على أرض الواقع، وفيما يخص بنايات المجتمع، ما يعنى وجود تقاطع ضروري بين هاتين الدائرتين، باعتبارهما المتممتين لكتلة المتخيل (المخيال) الاجتماعي، الذي يتكون ويستند إلى التوتر والانتقال القائم بين وظائف الأيديولوجيا ووظائف اليوتوبيا، وهنا نلحظ التشابه الواقع بين المتخيل الاجتماعي والمخيلة الفردية حيث إن المخيلة الفردية تملأ أحيانا فراغ شيء موجود وتتمه في الصورة المتخيلة، وأحيانا أخرى تعوضه بالتخييل أو بتخيل جديد، وهو ما قصده كانط بمقولة (المخيلة المتعالية) المتناوبة بين الخيال المنتج والخيال المعيد للإنتاج، الذي يمثل الأيديولوجيا (المعيد)، واليوتوبيا (المنتج).

وهكذا يتم المتخيل (المخيال) الاجتماعي وظيفته من خلال تلك الحركة بين مضاعفة الواقع، وإعادة إنتاجه من جديد، كما أن المتخيل (المخيال) الاجتماعي لا يتجلى حقيقة إلا من خلال صورتيه المرضيتين الأيديولوجيا واليوتوبيا، في طريقة تبادلية

[٣٨] بول ريكور، الخيال الاجتماعي ومسألة الأيديولوجيا واليوطوبيا، ترجمة: عبد الحق منصف، ص٢٩.
[٣٩] المصدر السابق، نفسه.

عكسية بالمقارنة بينهما، والمعبرتين عن حالة الوعي الخاطئ، والحائلتين دون الوصول إلى الطاقة الإبداعية الكاملة، والتي لكى نصل إليها ونحصل عليها يجب علينا توجيه النقد لدائرتي الأيديولوجيا واليوتوبيا، ومعها نصل إلى امتلاك القدرة الخلاقة للمخيلة في لحظة تكاملية لهاتين الدائرتين المعبرتين عن المتخيل الاجتماعي(٤٠).

إن اليوتوبيا في عملها الأساس كرفض للواقع وتحليق في فضاء خارجي، وهي بذلك تكون دافقًا للأيديولوجيا من أجل نقد ذاتها وتصحيح مسارها، وكذلك فالأيديولوجيا في مسيرتها الصحيحة والسوية، وذلك في أن تعطي مجموعة من البشر في لحظة تاريخية هوية ما، فإنها تقوم في الوقت ذاته بمحاربة الجزء المنفلت من اليوتوبيا، حتى يتم شفاؤها من ذلك الجنون والتدمير الفوضوي الذي يتهددها باستمرار(٤١).

وفي النهاية نوضح أننا إذا كنا نود أن نتمكن من الحلم بعالم جديد، فيجب علينا أن نكون قد اتضح لنا عبر التأويل الدائم للتقاليد الموروثة التي أنتجت وعينا، على ما يشبه الهوية الذاتية المبثوثة من خلال السرد، لكن هذه الأيديولوجيات التي تحتوي على هذه الهوية، تحتاج إلى وعي قادر على مواجهة الذات بالإنقذاف والانطلاق إلى اللامكان.

ثانياً: التأويل ونقد الأيديولوجيا:

لقد حاول بول ريكور فيما سبق ترسيخ فكرة أهمية الكشف عن المعنى الحقيقي للوجود الإنساني، ولكنه أدرك أن ذلك لن يتأتى إلا من خلال التقصي العلمي، مع تصوره من أجل الوصول إلى ذلك أن يقترح فهما هرمنيوطيقيًا للتاريخ، ويقوم هذا الفهم على مساحة دقيقة تفصل بين مرحلة ما قبل هذا الفهم، ومرحلة ما قبل التصور، الراجعة إلى المسافة التي تفصل بين نشوء الأيديولوجيا وأوهام الذات، وبين النقد.

وإذا كانت الكثافة المعرفية قد قامت على أساس المصالح، فقد أدى ذلك لحدوث التلاعب والتوظيف والسيطرة.... وغيرها من الانحرافات، وهي داعية الفيلسوف للقيام بمهمة فضحها، لأنها تغدو مصدرًا لإنتاج أوهام الذات.

لقد أدرك ريكور أهمية التواصل والعلاقة الجدلية، فبدلًا من الفصل والقطيعة بين العلم والأيديولوجيا، فإنه يقترح تفعيل المنهج النقدي الذي يعد نقطة اتصال بين العلم

---

(٤٠) بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة، وحسان بورقية، ص٣٠٩.

(41) https:// www.irisntimes.com//Paul Ricoeur: The philosopher behind Emmanuel Macron.

(ISSN: 2536 - 9555)

والفلسفة، وذلك لكى يتم القضاء على الشوائب التي تسببها الأوهام، لكى نسمح بهرمنيوطيقا للعلامات تكون طريقًا لتمثل الواقع وفهمه[٤٢].

يعد ذلك هو الرهان الفلسفي للحوار الذي دار داخل أبستمولوجيا علوم الفكر، من خلال طرح فكرة البديل، وهي الفكرة التي توصل لها ريكور بعد تلمسه للصراع الدائر بين أصحاب الهرمنيوطيقا أو الوعي الهرمنيوطيقي، وأصحاب نقد الأيديولوجيا أو الوعي النقدي. ويضيف هنا ريكور بصمته الفكرية في الحاجة في نفس الوقت إلى وجوب دحض فكرة البديل ذاتها، بل ويحاول التساؤل عن مدى إمكان قيام هرمنيوطيقا تستوعب نقد الأيديولوجيات نفسها. وتستفيد من النقد داخل حقولها ووفق مقتضياتها.

لقد جسد السجال الشهير بخصوص هذا الموضوع بين جادامر ممثلًا للهرمنيوطيقا، وهابرماس ممثلًا جهة النقد، وقد جُمع هذا الجدال في كتاب صغير يسمى (الهرمنيوطيقا ونقد الأيديولوجيا) نشره شوركامب (suhrkump) سنة ١٩٧١، حاول من خلاله طرح أهم جوانب هذا النقاش. لقد بدا الأمر وكأن الهرمنيوطيقا ونقد الأيديولوجيا متضادان، وأن كل مشروع منهما متعاكس مع الآخر، فقد كانت الهرمنيوطيقا تتأسس على أساس تناهي الإنسان، فهو يجد نفسه ضمن إرثٍ، فهذا التاريخ يسبقني، وأنا أنتمي إليه قبل أن أنتمي لنفسي، فإن لدى مجموعة من الأحكام المسبقة، والتي تسبق حكمي على الأشياء، وإذا كنا لا نستطيع أن نستخلص أنفسنا من هذه السيرورة التاريخية، لكى نضع أنفسنا على مسافة منه، حتى يغدو الماضي موضوعًا لإدراكنا– فعلينا الاعتراف بالتموضع في التاريخ، والذي لا يعطي لوعينا وإدراكنا الحرية في وضع نفسه في مواجهة الماضي وفق آلية الاستقلال. وفي الجهة المقابلة تقوم النظرية النقدية ممثلة نقد الأيديولوجيا على أساس نسيان التراث وارتباط المعرفة بالمصالح، فالتقليد أو التراث ليس مجرد إرث يجب إبرازه وتفسيره، ولكن هو المكان الأكبر لتشويه الحقائق حيث تتضارب المصالح وتختلط بالعنف الأيديولوجي لحماية مصالح الهيمنة وتأييدها تحت غطاء المعرفة الخالية من المصالح، فالحاجة الملحة لا إلى الهرمنيوطيقا، ولكن إلى نقد للأيديولوجيا، لإزالة هذه الأقنعة والتشوهات الفكرية، بطرق مختلفة شبيهة بعمليات التحليل النفسي، والذي يحاول

[٤٢] مارثيلو فيليكس تورا، مصادر وآثار مفهوم الأيديولوجيا عند ريكور، ترجمة: هشام الميلوي، ورقة قدمت للمؤتمر العالمي العشرين حول الفلسفة ببوسطن ١٩٩٨، مجلة الحكمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، عدد ١٧–١٠–٢٠٠٥م.

القيام ببناء جيني جديد لعمليات إزالة الترميز لإزالة العنف والسعي للانعتاق من أجل بناء المستقبل وفق آلية التواصل غير المحدود[٤٣].

أ- جادامر والهرمنيوطيقا.

لقد وجد جادامر الوعي الحديث يتأسس على فكرة المباعدة الاستلابية Verfremdung، التي تعدت كونها تصورا أو منهجا لتصبح المفترض الأنطولوجي الذي يستند عليه المسار الموضوعي للعلوم الإنسانية، والتي يتحدد وفقا لمنهجيتها تباعد يحطم علاقة الانتماء الأساسية بالتراث، وبدونها لن يكون هناك علاقة بالتعامل مع التاريخ بوصفه كذلك. لذلك نهض جادامر لهذه المهمة حيث أعاد تصور الوعي التاريخي وفق آلية المطالبة بالكونية عبر إعادة الاعتبار للمفاهيم المركزية لديه، كالحكم المسبق والسلطة والتقليد.

لقد أسس جادامر فلسفته عبر دوائر كبرى ثلاث: دائرة الإستطيقا، وتسعى إلى الإمساك بالحقيقة من خلال تجلياتها في الوجود، ثم تأتي الممارسة النقدية للحكم وفق آليات التذوق التي وضعها كانط. دائرة التاريخ وتختص بالوعي في صورته المتأصلة في التأثر بمجموعة من التقاليد، تكون سابقة عليه، وكذلك تمكن من عملية الفهم التي تكون محكومة بالمحدودية وفق فكرة التناهي. دائرة اللغة وتشترك فيها الدائرتان السابقتان وفق فكرة الانتماء إلى أشياء قيلت من قبل، وتجلت من خلال الخطاب، وهو سابق، ويتيح كذلك الاختزال الأداتي للغة، وأي تطلع نحو استيعاب بنايات النصوص التي تخص ثقافتنا وفق تقنيات الموضوعية، وبذلك يكون المجال اللغوي أو دائرة اللغة هي محط تجمع الوعى الجمالي والوعي التاريخي داخل الخطاب[٤٤].

---

[٤٣] دانيل هوانج، نقد ريكور للأيديولوجيا من أجل اللاهوت، ترجمة: رامي طوقان، مقال مجلة لانداس، (مجلة معهد لويولا-الفليبين)، عدد٧، ١٩٩٣م، أوراق فلسفية، القاهرة، عدد٥٨، ٢٠١٨م، ص١٧٣.

[٤٤] هانس غيورغ غادامر، فلسفة التأويل (الأصول-المبادئ-الأهداف)، ترجمة: محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف: الجزائر، المركز الثقافي العربي: لبنان، والدار العربية للعلوم: لبنان، ط٢، ٢٠٠٦م، ص١٤.، بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، ص٢٦٤، سعيد توفيق، الهرمنيوطيقا والفن عن جادامر، جماليات التلقي والتأويل، أعمال المؤتمر الدولي الأول للنقد الأدبي، القاهرة، أكتوبر ١٩٩٧، ط١، ١٩٩٩م، ص١٥٦.

(ISSN: 2536 - 9555)

لقد طوَّر جادامر اتجاهًا فكريًّا يرفض التسليم بفكرة الموضوعية الزائفة، وذلك توسيعًا لبعض أطروحات المنهج الفينومينولوجي بتأسيسه الهرْلي، وتفريعاته على خلفائه في هذا الاتجاه[٤٥]، فقد أكد جادامر على بنية الأحكام المسبقة وأهميتها التي تنسحب بعالمية وشمول على التأويل التاريخي، وكذلك تضم العلوم الطبيعية والإنسانية، فكل هذه الفروع من المعرفة تخضع لفكرة التقاليد، فكل فهم يفترض دائما حكمًا مسبقًا؛ يكون ملائمًا لنموذج تأويلي ما، وليست تأويلاتنا للتاريخ أو للنصوص المتجذرة وحدها داخل الموقف التأويلي أو التراث، بل حتى الأحكام المنهجية التي يظن أنها موضوعية، تكون بمعنى من المعاني أثرا ناتجا عن الأحكام المسبقة، والدليل على ذلك أن بلوغ لغة ملاحظة محايدة أو فرضيات نظرية موضوعية هو أمر مستحيل، لأن الحياد وهم باطل، فلا توجد ملاحظة أو تأكيد غير مشروط بالتراث[٤٦].

وبذلك وضع جادامر الفلسفة في موقف الصراع مع كل نقد للأيديولوجيا، وذلك بعثًا للصراع القديم بين فكر الرومانسية وفكر الأنوار، والذي انطلق من الرومانسية كنقطة أولية ومر عبر المرحلة الأبستمولوجية لعلوم الأفكار لدى ديلتاي ثم أنطولوجيا هيدجر انتهاءً بجادامر، الذي أعاد تكرار هذا الصراع، ولكن هذه المرة يكون بينه وبين تيار نقد الأيديولوجيا داخل مدرسة فرانكفورت، على أن جادامر قد حاول ألا يسقط في أخطاء فكر الرومانسية، حيث إن الرومانسية لم تستطع تطوير وحل الإشكالات والمآخذ التي أخذت عليهم، واكتفت بإعادة التمسك بهذه القضايا فقط، حيث أخذ عليهم أن الحكم المسبق مظهر من مظاهر الحكم المتسرع الخطأ ويجب القضاء عليه، وكذلك يجب الوقاية من اتباع السلطة والعادة. الخلاصة إن فكر الرومانسية سقط في فكر الإحياء فقط للإرث القديم دون مناقشة، وهذا ما اضطلع به جادامر لحل هذه المعضلات، فهو قد أعاد الاعتبار للحكم المسبق والسلطة والتقاليد، ولكن ضد سيادة الذاتية فالانتماء لا يعنى التأملية، ولكن هو استعادة للبعد التاريخي مقابل اللحظة التأملية، فالتاريخ يسبقني

---

[٤٥] للاطلاع على دوافع ومنطلقات وثوابت المنهج الفنيومينولوجي والتي بنى عليها جادامر فلسفته، انظر: سعيد توفيق، الخبرة الجمالية دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية، دار الثقافة، القاهرة، ٢٠٠١م، الباب الأول، أولًا، وثالثًا.

[٤٦] هشام معافة، الهرمنيوطيقا ونقد الأيديولوجيات: غادامير في مواجهة هابرماس، مجلة الدراسات، كلية العلوم الإنسانية، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، عدد٦، ٢٠١٧م، ص٢٨٨.

ويتقدم على التأملي، وأنا أنتمي إلى هذا التاريخ قبل أن أنتمي. فالفهم الحقيقي يبدأ من واقعة وجودنا في هذا العالم، وذلك على نحو لا تنفصل فيه الذات عن الموضوع أو الوعي عن عالمه الذي يحيا فيه، من خلال خبرة أولية سابقة على كل تفكير[٤٧].

يبدو أن إعادة تكوين البعد التاريخي للإنسان يحتاج أكثر بكثير من مجرد إصلاح منهجي، فنحن لا نحتاج لمجرد إضفاء المشروعية الأبستمولوجية على علوم الفكر بالمقارنة بعلوم الطبيعة، ولكننا نحتاج إلى إعادة الحفر في منطقة الأسس التي تربط نظرية المعرفة بالوجود، لإظهار المعنى الحقيقي المختبئ لما هو سابق على بنية الفهم وذلك لإعادة الاعتبار للحكم المسبق.

يرى بول ريكور أن إضافة جادامر حول هذه القضايا تتعلق أولا بالرابطة التي يؤسسها منهجيًّا وفق آلية ظاهراتية بين الحكم المسبق والتقاليد والسلطة، مع وجود البعد التأويلي الأنطولوجي انطلاقًا من قاعدة (الوعي المعرض لتأثيرات التاريخ) وصولًا إلى النتيجة المعرفية لما وراء النقدية، والذي يجمع بين الفحص ونقد النقد، ولكن هذا كله لا يمكن أن يبدأ من الصفر.

فبالنسبة للأحكام المسبقة فليس هناك عقل بدون مُفتَرَض، حيث إن هذا من مكونات طبيعة الكائن البشري التاريخي، فمن الخطأ الظن أن هناك أحكاما مسبقة بغير أساس، فالواقع أن هناك أحكاما مسبقة تكون على أساس، وربما تفترض وجود أحكام مسبقة على غير أساس، وهناك أحكام مسبقة مشروعة، ويري جادامر أن الأحكام المسبقة إما تكون بسبب التسرع والاستعجال، وإما تكون بسبب الوقاية، الأولى يصعب رد الاعتبار لها، والثانية يمكن رد الاعتبار لها بعد فحص عميق ومناقشة تفصيلية. وهنا يفصل جادامر قضية السلطة وعلاقتها بالسيطرة والعنف، فيري أنه وفقا لماكس فيبر فالدولة المؤسسة تستند على الاعتقاد في شرعيتها وسلطتها وحقها المشروع في استعمال العنف عند الحاجة، فيرى أن هناك خلطا بين السيطرة والسلطة والعنف وفق تيار فكر الأنوار، فإنهم يعتبرون السلطة طرفا معاكسا للطاعة العمياء، وهذا خطأ في فهم السلطة، فالسلطة لا تقوم على الخضوع والتسليم، وإنما على القبول والاعتراف، وليس الطاعة مع الالتزام بعدم التعسف أو اللاعقلانية. أما التقاليد فإذا كان يمتلك سلطة ما وذلك لتاريخية

---

[٤٧] سعيد توفيق، في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص٩٠، ٩١.

(ISSN: 2536 - 9555)

وجودنا المتناهية إلا أنها ليست مطلقة، ويطرح هنا جادامر قاعدة الطابع الضروري للتقليد وهي فكرة التعديل التي قام بها تيار الرومانسية تعديلًا لتيار الأنوار.

ويرى جادامر أن هذا هو موضع الإبداع والفكر لدى القدماء، حيث أسسوا داخل الأخلاق القديمة الانتقال من الأخلاق إلى السياسة التي هي فن التشريع الجيد، وهو موضع التفوق للأخلاق لدى القدماء عن فلسفة الأخلاق عند المحدثين الذي يتسم بالتجريد والثورية. وينتهي جادامر من خلال تحليل مفهوم السلطة وفق أدوات النقد والشك إلى أن هناك صلة ما بين السلطة والعقل، حيث إن السلطة لا تكف عن أن تكون عاملًا مولدًا للحرية وللتاريخ[٤٨].

وانطلاقا إلى الحاضنة الكبرى والمقولة الرئيسة لدى جادامر والتي تحتوى الحكم المسبق، والسلطة، والتقليد وفق آلية التأويل الأنطولوجي، أقصد الوعي المعرض لتأثيرات التاريخ، فقد حاول ريكور ايجازها في أربع نقاط أو أشكال هي كالتالي:

١- تتصل هذه المقولة مع مفهوم المسافة التاريخية، حيث تشكل شرطا منهجيًا له، فالمسافة تعد حدثا، والمباعدة طريقة وسلوك منهجي، ومن الوهم أن نظن أن المسافة تضع حدًا لالتحامنا بالماضي، فالتاريخ الفاعل هو نفسه الفعالية داخل المسافة.

٢- لا يمكننا وضع آلية للتحكم في مجموع التأثيرات، وبذلك فنحن نقع في الاختيار بين أمرين هما محدودية المعرفة، والمعرفة المطلقة، ولكن التاريخ الفاعل لا يتم إلا داخل حدود أنطولوجيا المتناهي، وهنا يفاضل جادامر بين الوصول إلى ظاهراتية الفكر أو أن ننزلق نحو المعرفة المطلقة.

٣- إذا لم يكن هناك معرفة مطلقة، فليس هناك كذلك حدود تفيدنا وتمنعنا من الانطلاق، فحيثما وجد موقف ما يوجد أفق له يتفق مع الموقف، فقد يضيق أو يتسع حسب الموقف، ومن خلال مفهوم الأفق هذا يمكننا أن ننتقل إلى وجهة نظر الآخر، وذلك باعتبار الأفق ضمن قاعدة المنهج، وعند الانتقال إلى أفق الآخر يصبح أفقنا هو ذلك الأفق، ويرى جادامر أننا إذا كنا نظن بذلك أننا ساوينا التاريخ بالعلوم الأخرى في الموضوعية، ولكنه يعتبر ذلك إدماجًا مزيفًا، فمعاملة الموضوعات

[٤٨] جادامر، الحقيقة والمنهج (الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية)، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم، دار أويا: طرابلس، ط١، ٢٠٠٧م، ص٣٨٧، ٣٨٨.

كالنصوص مثلًا على أنها موضوع مطلق يحرمه من تطلعه إلى أن يقول لناشئ، إن ما يفسد المشروع التاريخي هو هذه المباعدة الموضوعية التي تغلق الآفاق وتمنع وجهات النظر، وتحرمنا من تطلع التقليد إلى أن ينقل لنا كلامًا حقيقيًّا عما يكونه بالفعل.

٤- من خلال الجدل الواقع بين الأنا والآخر وفق آلية الحوار، التي ترفض الموضوعانية التي تنادي بجعل الآخر موضوعا لي عبر نسيان ما يخصه، وترفض المعرفة المطلقة التي ترى أن التاريخ الكوني قادر على أن يوجد داخل أفق وحيد، فإن الآفاق التي نوجد فيها ليست مغلقة ولا وحيدة، ولكننا نستطيع الانتقال عبر الحوار لآفاق أخرى، ونتعرف إلى ثقافات أخرى، وفق عملية انصهار أو تلاحم الآفاق[٤٩].

ويختم بول ريكور موضوع الهرمنيوطيقا عند جادامر بقضية كونية المشكلة الهرمنيوطيقية، حيث يرى جادامر أن الهرمنيوطيقا تشبه العلم في أمور رئيسة:

- إن للهرمنيوطيقا ما للعلم من اتساع.
- إذا كانت الكونية هي مطلب العلم الرئيس فهي تعطينا المعرفة والسلطة كذلك الهرمنيوطيقا تدور في نفس هذا المجال الذي يحتويه البحث العلمي، فهي تقوم على تجربة الوجود في العالم تسبق وتشمل المعرفة وسلطة العلم.
- ترتفع هذه الكونية فوق أرضية النقد، المتوجه إلى الشروط الممكنة لشروط التعرف على المعرفة والسلطة اللتين للعلم.

ويرى جادامر أن مهمة الهرمنيوطيقا هي نقد النقد، وذلك لكي ننقذ ما تعرض للتعسف بسبب العلم، حيث حدث الاستلاب داخل دوائر الوعي الثلاث الرئيسة الوعي الجمالى والوعي التاريخي والوعي اللغوي، عن طريق المباعدة المنهجية، وهو ما تحاول الهرمنيوطيقا دحضه عودة إلى الأصل، وحتى تستطيع ترميم الأرضية الأنطولوجية من جديد، ولكن لتجنب حدوث سوء فهم، يبدأ جادامر بأن قبل كل سوء فهم يوجد هناك اتفاق ما، وذلك عبر دائرة اللغة ومن خلال الاتفاق الذي يتم وفق آلية الحوار[٥٠].

---

[٤٩] جادامر، تجلي الجميل، ترجمة: د. سعيد توفيق، المشروع القومى للترجمة والمجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٩-٢٢، ٣٣، ٣٤.

[٥٠] المصدر السابق، بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة: محمد برادة، وحسان بورقية، ص٢٧٣-٢٧٦.

(ISSN: 2536 - 9555)

ب– هابرماس ونقد الأيديولوجيا.

لقد نظر هابرماس إلى هرمنيوطيقا التقاليد نظرة فاحصة حاول من خلالها دراسة هذا الاتجاه الفلسفي دراسة شاملة للوصول إلى نقاط الضعف فيها، وقد استخدم في سبيل ذلك الآليات المتمثلة في المساءلة والنقد والتحليل، وفي النهاية التجاوز لكل الإخفاقات التي سقطت فيها الهرمنيوطيقا بوجه عام وهرمنيوطيقا التقاليد بوجه خاص.

لقد رأي هابرماس أن الوظيفة الأساسية للفلسفة هي النقد– متأثرا بمدرسة فرانكفورت– فهو الأرضية المتينة التي يمكن أن تبني الفلسفة عليها أسسها الفكرية، ولذلك قدم هابرماس ما اعتقد أنه سيكون بديلًا وافيًا عن هرمنيوطيقا التقاليد، ألا وهو نقد الأيديولوجيات باعتباره البديل الأمثل، والأكثر نفعا للفلسفة والفكر بوجه عام، والأقرب إلى روح العصر وآلياته التواصلية بحثا عن الوصول إلى حقيقة الكائن البشري وتحققه في هذا الوجود، مع مواكبة التقدم العلمي الحديث، مع تجاوز النزعات الوضعية العلمية والتقنية التكنولوجية وكذلك الفلسفات التأملية وفلسفات الوعي.

* يقدم هابرماس مفهوم (المصلحة) مفهومًا مركزيًّا وقاعدة ارتكاز لفلسفته، والذي يناظر مفهوم (الحكم المسبق) لدى جادامر، ذلك المفهوم المركزي، الذي يعد من الدعامات الرئيسة في هرمنيوطيقاه، لقد ارتبط هابرماس بعلاقات مع الماركسية، وإن كانت فلسفته تختلف عن باقي الماركسيات، وكذلك ارتبط هابرماس بعلاقات مع النظرية الاجتماعية وإن اختلف عنهم، فكل فيلسوف وإن ارتبط بتيار ما إلا أنه يكون له شكل وطريقة تتفق مع هذا التيار في قضايا، وتختلف معه في أخرى، حتى نظريته أو رؤيته في نقد الأيديولوجيا، يظهر فيها طابعه المختلف، وذلك من خلال مؤلفاته، وعلى رأسها (المعرفة والمصلحة) المنشور في عام ١٩٦٨م، لقد أراد هابرماس إعادة التصور، وتتغير إشكالية التفكير الغارق في الموضوعية والوضعية تأثرًا بالعلوم المختلفة، وذلك وفق آلية ماركسية تخصه، حتى يصل إلى إعادة تشييد لما قبل تاريخ الوضعية الحديثة، وبهذا فهو يؤسس لفكرة تجاوز الوظيفة النقدية وفق الماركسية من أجل استعادة تجربة التفكير الضائعة[٥١]. فعلى الرغم من أن الماركسية تنتمي إلى تاريخ التفكير النقدي، وقدمت نفسها كحل جديد لمشكلة شروط إمكان الموضوعية للموضوع، وإذا كان داخل المادية يكون للعمل وظيفة رئيسة هي وظيفة التركيب، فإن نقد الاقتصاد السياسي عند

---

[٥١] موقاي بلال، يورجن هابرماس: التفكير مع مدرسة فرانكفورت ضد مدرسة فرانكفورت، جامعة عبد الحميد بن باديس، الجزائر، مجلة الحوار الثقافي، ع٢، ٢٠١٤م، ص٧٩.

ماركس يأخذ مكانة المنطق داخل الفلسفة المثالية، وهنا يري هابرماس أن الماركسية بممارستها وظيفة التفكير النقدية فإنها حققت أمرين: الأول تكون بمثابة الاتجاه الأكثر تقدمًا نحو ما وراء النقد، وذلك وفقًا لآلية اعتبار الانسان المنتج موضع الذات المتعالية وموضع الفكر الهيجلي، والثاني أنها وقعت في خطيئة نسيان التفكير، وساهمت في تقدم الفلسفات الوضعية والموضوعاتية، ومن هنا استطاع ماركس نسف نظرية المعرفة من جذورها(٥٢).

يقدم هابرماس مفهوم المصلحة كمعارض لأي تطلع نظري من الذات للتواجد خارج منطقة الرغبة، وهو التطلع الذي وجد هابرماس جذورًا له عند الفلاسفة السابقين من أفلاطون مرورًا بكانط وهيجل وهسْرل، ويرى أن مهمة الفلسفة النقدية هي إزالة الأقنعة عن المصالح المتولدة من مشروع المعرفة، وهنا يلاحظ ريكور أن مشروع هابرماس يقع ضمن إطار أو يسمح بإدخال مفهوم الأيديولوجيا من خلال مفهوم المصلحة، حيث إنها معرفة تدعى التجرد من الغرض وتبحث عن إخفاء المنفعة في شكل عقلنة ما.

وهنا نلحظ أن مفهوم المصلحة يتفرع وفق تعددية النفع إلى ثلاث مصالح أساسية، تعبر كل واحدة منها عن دائرة للبحث تشتمل على مجموعة من العلوم.

أولًا: هناك المصلحة التقنية (الأداتية) والتي تخص العلوم التجريبية التحليلية، فالوقائع التي تنتسب إلى العلوم التجريبية قد تكونت قبليًا من تجربتنا داخل نسق سلوكي للفعل الأداتي، مثل فلسفة ديوي البرجماتية، والتي يعتبرها هابرماس أيديولوجيا حديثة تخص العلم والتقنية وبخاصة الترابط بين المعرفة التجريبية والمصلحة التقنية، التي تعتبر مصلحة معرفية.

ثانيًا: المصلحة العملية والتي تخص مجال التواصل البشري المشابهة بمجال العلوم الهرمنيوطيقية التاريخية، وتختص بفهم المعاني التي تتم عبر تأويل للرسائل المتداولة في اللغة العادية، وكذلك بواسطة تأويل النصوص المتوارثة عن طريق التقليد، وأيضا عن طريق عملية استبطان للمعايير التي تصنع أساس الأدوار الاجتماعية، وهنا يقترب هابرماس فيما يرى ريكور من جادامر ويبعد عن ماركس، حيث الفعل التواصلي يخضع لشروط ما قبل الفهم لدى المؤول.

ثالثًا: المصلحة من أجل التحرر والتي تخص العلوم الاجتماعية النقدية، وهنا يبدو الاختلاف بوضوح بين جادامر حيث المرجعية عنده علوم الفكر، عن هابرماس الذي

(٥٢) يورجن هابرماس، المعرفة والمصلحة، ترجمة: حسن صقر، منشورات الجمل: كولونيا، ألمانيا، ط١، ٢٠٠١م، ص ٩-١٢.

(ISSN: 2536 - 9555)

يعتبر الاجتماعية النقدية مرجعية له، والتي تتحدد مهمتها في التمييز لأشكال علاقات التبعية المجمدة أيديولوجيًّا، وأيضًا تمييز التشييئات التي لا يمكن تحويلها إلا بالطريقة النقدية، فالمصلحة المتصلة بالتحرر هنا هي التي تقوم بضبط عملية المقاربة النقدية هذه، والتي يسميها هابرماس أيضا بمرحلة التفكير الذاتي، وتتميز بتقاطعها بين دائرتي الفلسفة والعلوم الاجتماعية النقدية، وتعبر عن حالة الاستقلال الذاتي، إن هذه المصلحة لا تنشط إلا من خلال الاتجاه النقدي، والذي يستطيع أن يقوم بتعرية المصالح الفاعلة داخل أنشطة المعرفة، والتي توضح تبعية الذات النظرية للشروط التجريبية المتولدة من إرغامات مؤسساتية، فتقوم بالتوجيه نحو التحرر[٥٣].

* يحتل مفهوم (الأيديولوجيا) في العلوم الاجتماعية النقدية المكانة التي يحتلها الفهم السيئ في هرمنيوطيقا التقليد، إلا أن طريقة المعالجة التي تتم حيالهما تختلف داخل الهرمنيوطيقا التي تكتفي بحركة الحوار القائمة على السؤال والجواب، ويختلف الأمر فيما يتعلق بمعالجة مفهوم الأيديولوجيا، حيث يلجأ هابرماس إلى فكرة التوازي بين التحليل النفسي ونظرية الأيديولوجيا وفقا لمقاييس وهي:

* **أولًا:** داخل إطار مدرسة فرانكفورت ووفق منزعٍ ماركسي يري هابرماس أن الالتواء يكون محمولًا إلى الفعل القمعي لسلطة ما، فمن خلال العنف والرقابة، فالعلاقة بين الأيديولوجيا والعنف تكون أساسية لأنها تدخل إلى دائرة التفكير أشياء عظيمة كالعمل والسلطة، فهناك طبقة تمارس السيطرة على المجتمع من خلال العمل البشري، وتعبر الأيديولوجيا عن علاقة السيطرة هذه، فداخل منطقة الفعل التواصلي تتم ظاهرة السيطرة هذه، وهنا يحدث التواء للغة داخل شروط الممارسة على مستوى كفاءة التواصل.

* **ثانيًا:** إن التواءات اللغة لا تأتي من استعمالها في حد ذاتها، وإنما من علاقة استعمالها بالعمل والسلطة، فهي بالتالي غير قابلة لأن يتعرف عليها أعضاء الجماعة، وسوء التعرف يخص ظاهرة الأيديولوجيا هذه، ولكى يتم الفحص والتحليل لهذه الظاهرة يجب اللجوء إلى المصطلحات التي تنتمي إلى دائرة التحليل النفسي مثل: الوهم والإسقاط والترشيد.....، وقد بحث هابرماس عن نفس الإطار في التحليل وفق آليات مجال العلوم الاجتماعية النقدية، فتوصل إلى (التواصل المزعوم) أو (الفهم الملتوي منهجيًّا) المقابل لسوء الفهم.

* **ثالثًا:** إذا كان الحوار المباشر غير كافٍ للتغلب على سوء المعرفة، فالحاجة ملحة إلى فحص الأيديولوجيا عن طريق إجراءات التفسير وليس فقط الفهم، وذلك من

[٥٣] بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة: محمد برادة، وحسان بورقية، ص٢٧٩، ٢٨٠.

أجل تقييم ذلك البناء النظري، والذي لا يكفي التعامل معه وفق آليات الهرمنيوطيقا، التي تكتفي بتأويل تلقائي للخطاب العادي للمحادثات، وتعتبره فنًّا من الفنون، فالحاجة ملحة إلى استخدام منهج التحليل النفسي، الذي يقدم النموذج الفعال، الذي يقدم تحليلًا للكلام، ومن خلاله يتم فهم المعني عن طريق إعادة البناء. فالتحليل النفسي يبقي في إطار منطقة الفهم التي تنتهي عند وعي المريض بحالته، ويطلق عليها هابرماس (هرمنيوطيقا الأعماق)[٥٤]، إلا أن هذا الفهم يقتضي بعد إزالة الترميز التي يجريها التحليل النفسي في اتجاه معاكس إلى إعادة هذا الترميز، وتعتبر هذه الرحلة التفسيرية التي يلعب فيها الجهاز النظري الدور الرئيس، حيث يوفر شروط إمكان هذا التفسير، وكذلك عمليات الهدم وإعادة التشييد، وفق منطق التواصل عبر سيرورة حوارية تقود المريض إلى التفكير في نفسه.

يري ريكور أن هابرماس أخفق في إظهار ونقل الإشكاليات التي تحتوي على التفسيري والميتاهرمنيوطيقي من مجال التحليل النفسي إلى مجال الأيديولوجيا، إن التواءات التواصل المرتبطة بالمظاهر الاجتماعية للسيطرة والعنف هي أيضا تعتبر ظاهرات لنزع الترميز.

ويرى ريكور استدراكًا على هابرماس أن الملامح الأساسية لمفهوم الأيديولوجيا طبقًا لتأثير العنف داخل الخطاب تعد إخفاءً يحتاج إلى مراجعة بواسطة تفسير الأسباب، وبهذا تظهر الأيديولوجيا كتجربة قصوي للهرمنيوطيقا، لا تقدم لها الأخيرة سوى التوسيع والتطوير للحالة الطبيعية، مما يستلزم تدخلًا نظريًّا فيما يشبه الميتاهرمنيوطيقا، لصنع نظرية لتشويهات الكفاية التواصلية، ويدخل النقد في صورة هذا التنظير للكفاية التواصلية التي تحتوي على فن الفهم، وآليات التغلب على سوء الفهم والعلم التفسيري للالتواءات[٥٥].

الخاتمة:

تقدمت هذه الأطروحة بعرض للصورة الجمعية للخيال، فيما يعرف بالمتخيل الاجتماعي، وعرض وظيفته العملية ثم الانتقال إلى مكونات المتخيل الاجتماعي المكونة له، حيث ينقسم المتخيل الاجتماعي إلى قسمين كبيرين متلازمين ومتقاطعين ومختلفين ومتنافرين في آن واحد، وهما: الأيديولوجيا والتي تعبر عن عملية التثبيت للواقع المعيش

---

[٥٤] يرجين هابرماس، المعرفة والمصلحة، ترجمة: حسن صقر، ص٢٦٤-٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٢.

[٥٥] بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة، وحسان بورقية، ص٢٨٤.

(ISSN: 2536 - 9555)

والأوضاع القائمة، من خلال تجلياتها الثلاث، الإخفاء والتبرير والإدماج، واليوتوبيا بوصفها أساسا وباعثا للدعوة للتغيير من خلال دعواتها للرفض والتثوير والتغيير، وقد لاحظ الباحث عملية التناظر والتقابل التي أقامها ريكور بين الدائرتين، وتقسيم كل دائرة إلى جانبين: إيجابي ويمثل المميزات، وسلبي ويمثل العيوب، وأن هذه العيوب تعد حالات مَرضية للمجتمعات، وتقديم العلاج والدعوة للتعافي من هذه الأحوال المَرضية.

وقد قدم البحث عرض لهذا الموضوع في صورتين، الصورة النظرية أو عملية القولبة الفكرية لهذا الموضوع من خلال العرض المفاهيمي والإشكالي للقسمين الأيديولوجيا واليوتوبيا، والذي يدفع إلى التعرض لنموذجين متضادين من داخل دائرة الهرمنيوطيقا، أحدهما يركن إلى الحقيقة، والآخر يرتكز على العلم والأدوات المنهجية التحليلية.

لقد سعى الباحث من خلال أطروحته هذه إلى الإجابة على كل التساؤلات الواردة في المقدمة، واختبار الفروض المقدمة للتحقق من صحتها، وحاول من خلال العرض التعرض لكافة القضايا الرئيسة، التي تحيط بجوانب الموضوع، وانتهى الباحث في الختام إلى عدة استنادات تعبر عن عملية التحول التي حدثت في الهرمنيوطيقا يتصل بالماضي، ويستشرف المستقبل، وذلك وفق مبادئ ومرتكزات نظرية من جهة، وعملية من جهة أخرى، ومفاهيم ومصطلحات إجرائية من جهة ثالثة، **ويمكن حصرها في النقاط الآتية:**

- تقديم الخيال في صورته الجمعية من خلال معالجة موضوع الأيديولوجيا واليوتوبيا.
- يعد كلًّا من القطبين الأيديولوجيا واليوتوبيا وهما تعبيران رمزيان من تعبيرات الخيال الجمعي، بالإضافة إلى الخيال في الصورة الفردية؛ وسائل لإنتاج متواصل من الدلالات والسرديات، والتي تعتبر وسيلة يستمد منها الفكر المصادر الرمزية، ويرتكز عليها الإنسان في سبيل محاولاته الاندراج والاندماج في النظام الاجتماعي، وكذلك يعد وسيلة تلجأ إليها المجموعات البشرية في سبيل التموقع في التاريخ، كما أنه يسمح ببناء وسائط رمزية بين التراث المادي والواقع الراهن عبر امتلاك تقاليد الحياة المفيدة، وتكوين مجموعة من المواقف الأساسية، والقناعات الموزونة.
- إن منطلق ريكور بتوسيع دائرة الخيال، يتيح له أن يصبح الخيال هو المكان الذي تلتقي فيه التمثلات والعروض التي تسمح بالإلهام الأساسي للإنسان، وتحويل الذات عبر آلية إبداع الكينونة، واستحداث طرق جديدة للوجود في العالم، كما تعمل الوساطة التخيلية عبر التخطيط الاستعاري على حشد موسع للفكر، لكي يقوم بخدمة الخيال، كما يؤدي إلى تنمية الإحساس بالصالح العام المشترك عن طريق

الفاعلية الإنسانية، وكذلك يساعد على تخيل أشكال وصور جديدة من التضامن والتآزر بين الأفراد والجماعات، مما يساعد في التغلب على العنف وتجنب الحروب، ويؤدي إلى تدعيم الروابط الاجتماعية، ونشر السلم العالمي.

- الحاجة الملحة إلى ممارسة التأويل، فمادام العصر الذي نحيا فيه يستخدم الأقنعة، ويمتلئ بالرموز والإشارات والعلامات، ويشغل التخييل والمخيال والاستعارة فيه جزءا كبيرا، ويعبر عن طريق اللغة والطقوس والأشكال اللاشعورية عن الحياة، فإن التأويل يدفع إلى الشك والتساؤل، ويبحث عن عالم آخر ممكن أوسع وأرحب وأعمق من الذي نحيا فيه، وهنا تتحول القراءات التأويلية إلى حوارية وجدلية متسائلة ومتضاربة من جهة، ومتفاهمة ومتوافقة من جهة أخرى، مما يجعل التأويل متعة ولذة، تثبيت ومحو، هدم وبناء، شك واقتناع، سؤال وجواب ونقد، كما أنه يعد كذلك تأمل وتنظير، ممارسة وتجربة ومغامرة، وهو أيضا نمو وتفاعل، اختلاف وتوافق وتفاهم، وخدمة للتراث والحياة عبر ممارسة الحوار والإنصات.
- ولا نستطيع أن ننسى القول إن مستقبل الهرمنيوطيقا أصبح لا يقتصر على الظهور فحسب من حيث القدرة على التنبؤ بما يمكن أن يحدث للهرمنيوطيقا كنظرية في التأويل، ثم آلية في التطبيق، بل إن ما يمكننا قوله هنا يتخذ صورة معنى ذاتي جذري للهرمنيوطيقا باعتبارها في حالة وجود حقيقي، فإما أن يكون المستقبل مستقبل الهرمنيوطيقا، أو لا يصبح مستقبلًا على الإطلاق، فالمستقبل يُلزمنا المناقشة مادام هذا العالم يشهد الاشتباك والتشابك بين الذوات من أجل إصلاح هذا العالم، وهو ما تضطلع به الهرمنيوطيقا مستخدمة جميع أدوات العلوم الإنسانية المختلفة والمتاحة لها، حتى يتقارب العالم، من أجل أن يصبح ما يطلق عليه هيجل، ومن بعده ماركس مكان الروح، حيث تشعر أخيرًا أنها في منزلها الحق.

قائمة المصادر والمراجع والمقالات والدوريات

(١-١) المصادر

***مؤلفات ريكور :**

1. Paul Ricoeur, *From Text to Action: Essays in Hermeneutics II*, trans. Kathleen Blamey and John B. Thompson. Evanston: Northwestern University Press, 1991.

- من النص إلى الفعل: ترجمة: محمد برادة، وحسان بورقية، القاهرة: مركز عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، بالتعاون مع المركز الفرنسي للثقافة، ط١، ٢٠٠١.

(ISSN: 2536 - 9555)

2. Paul Ricoeur, Interpretation Theory: Discourse and the Surplus of Meaning, Fort Worth: Taxas: Christian Press, 1976.

- نظرية التأويل "الخطاب وفائض المعنى": ترجمة: سعيد الغانمي، المغرب: المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٣.

3. Paul Ricoeur, Lectures on Ideology and Utopia, ed. and trans. George H, Taylor, New York: Columbia University Press, 1985.

- محاضرات فى الإيديولوجيا واليوتوبيا: ترجمة: فلاح رحيم، تقديم: جورج تايلور، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠٠٦.

4. Paul Ricoeur, Onself as Another, trans. Kathleen Blamey, Chicago: University of Chicago Press, 1992.

- الذات عينها كآخر: ترجمة: جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠٠٦.

5. Paul Ricoeur, The Conflict of Interpretations: Essays in Hermeneutics, ed., Don Ihde, trans. Willis Domingo et Al Evanston: Northwestern University press,1974.

- صراع التأويلات: ترجمة: منذر عياشي، مراجعة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤.

١- بول ريكور: *الهوية السردية*، ترجمة: سعيد الغانمى، **مجلة القاهرة**، ع١٨، نوفمبر ١٩٩٧م.

٢- بول ريكور: *بعد طول تأمل*، ترجمة: فؤاد مليت، منشورات الاختلاف، والمركز الثقافي العربي: بيروت– الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦م.

٣- بول ريكور: *الخيال الاجتماعي ومسألة الأيديولوجيا واليوتوبيا*، ترجمة: عبد الحق منصف، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية، تونس، ع٧، ١٩٨٨م.

***مصادر أخرى:**

1. Gadamer H.D., *Truth and Method,* the English translation. New York Continum, 1975.

***مصادر مترجمة:**

١. إدموند هسْرل: *تأملات ديكارتية (المدخل إلى الفينومينولوجيا)*، ترجمة تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر: بيروت، ١٩٥٨م.

٢. جادامر: *الحقيقة والمنهج (الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية)*، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم، دار أويا: طرابلس، ط١، ٢٠٠٧م.

٣. جادامر: *تجلي الجميل*، ترجمة: د. سعيد توفيق، المشروع القومى للترجمة والمجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م.

٤. كارل مانهايم: *الأيديولوجيا واليوتوبيا (مقدمة فى سوسيولوجيا المعرفة)*، ترجمة: محمد رجاء، الكويت: شركة المكتبات الكويتية،١٩٨٠م.

٥. هانس غيورغ غادامر: *فلسفة التأويل (الأصول–المبادئ–الأهداف)*، ترجمة: محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف: الجزائر، المركز الثقافي العربي: لبنان، والدار العربية للعلوم: لبنان، ط٢، ٢٠٠٦م.
٦. هيدجر: *نداء الحقيقة*، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٧م.
٧. يورجن هابرماس: *المعرفة والمصلحة*، ترجمة: حسن صقر، منشورات الجمل: كولونيا، ألمانيا، ط١، ٢٠٠١م.

(١-٢) المراجع الأجنبية

1. https:// www.irisntimes.com//*Paul Ricoeur: The philosopher behind Emmanuel Macron*.
2. Theodore James, *Aristotale dictionary*, London, 1962.
3. *The concise Oxford Dictionary of current English*, London, 1980.
4. Thompson, John B., *Critical Hermeneutics: A Study In the Thought of Paul Ricoeur and Jurgen Habermas*, Cambridge, Cambridge University Press, 1981.
5. Weinsheimer J.C., *Gadamer's Hermeneutics: A Reading of Truth and Method*, New Haven / London: Yale University Press, 1985.

(١-٣) المراجع العربية

١. أحمد عطية موسى: *القاموس السياسي*، دار النهضة العربية، ط٣، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٦١.، الموسوعة السياسية، إشراف عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤م.
٢. حسن بن حسن: *النظرية التأويلية عند بول ريكور*، ج. ج. تنسيفت ط١، ١٩٩٢.
٣. خضر إبراهيم: *مفهوم الأيديولوجيا*: مطالعة في تاريخ المصطلح ومعانيه ومجالات استعماله، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ع٦، ٢٠١٧م.
٤. دافيد برايبروك: *مفهوم الأيديولوجيا فلسفيا وسياسيا*، ترجمة: أسامة عبد الحليم، معهد الإنماء العربي، ع٦٨، ١٩٩٢م.
٥. دانيل هوانج: *نقد ريكور للأيديولوجيا من أجل اللاهوت*، ترجمة: رامي طوقان، مقال مجلة لانداس، (مجلة معهد لويولا–الفليبين)، عدد٧، ١٩٩٣م.
٦. رابح خمليش: *كارل مانهايم (الأيديولوجيا واليوتوبيا: دراسة نقدية لفهم المنظومات الفكرية)*، الفلسفة الغربية المعاصرة: صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلي التشفير المزدوج، منشورات الاختلاف: الجزائر، ومنشورات ضفاف: الرياض، ط١، ٢٠١٣، ج١.
٧. سعيد توفيق: *مقالات فى ماهية اللغة وفلسفة التأويل*، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، وبيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م.
٨. سعيد توفيق: *الهرمنيوطيقا والفن عن جادامير، جماليات التلقي والتأويل*، أعمال المؤتمر الدولي الأول للنقد الأدبي، القاهرة، أكتوبر ١٩٩٧م، ط١، ١٩٩٩م.

(ISSN: 2536 - 9555)

٩. مجموعة من الأكاديميين العرب: *اليوتوبيا والفلسفة (الواقع اللامتحقق وسعادات التحقق)*، منشورات الاختلاف، الرباط، ط١، ٢٠١٤م.
١٠. مراد وهبه: *المعجم الفلسفي (معجم المصطلحات الفلسفية)*، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.
١١. منير البعلبكي: *المورد (قاموس إنجليزي عربي)*، دار العلم للملايين، ط٧، بيروت، ١٩٧٤م.

(١-٤) الدوريات والمجلات العلمية

١. ***الأدوار الاجتماعية للمخيال في الفلسفة السردية***، زهير الخويلدي، **مجلة الحوار المتمدن**، ٢٠٢٠/٣/٢١.
٢. ***الأيديولوجيا ومكانها من الحياة الثقافية***، زكي نجيب محمود، **مجلة فصول**، ع٤، المجلد الخامس، ١٩٨٥م.
٣. ***الأيديولوجيا واليوتوبيا***، زهير توفيق، **صحيفة الرأي الثقافي**، الكويت، مقال، ٣٠-١-٢٠٠٥م.
٤. ***الأيديولوجيا واليوتوبيا في فكر مانهايم*** (تأصيلات نظرية في الممارسة السياسية)، محمد أمين بن جيالي، **مجلة الاستغراب**، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ع٦٤، ٢٠١٧م.
٥. ***الأيديولوجيا واليوتوبيا كمخيلة ثقافية***، يوسف محسن، **مجلة الحوار المتمدن**، فبراير، ٢٠١٠م.
٦. ***الاستعارة والهوية السردية عند ريكور***، محمد الديهاجي، **مجلة القدس العربي**، يوليو ٢٠١٨م
٧. ***العقلانية المؤسساتية عند كارل مانهايم***، ناصر معارك، **مجلة الدراسات**، كلية العلوم الإنسانية، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة، ع٥، ٢٠١٦م.
٨. ***مستقبل الأيديولوجيا واليوتوبيا في الفكر السياسي الغربي الحديث***، عامر حسن، وعماد أحمد، **مجلة العلوم السياسية**، العراق، ع٤٣.
٩. ***مصادر وآثار مفهوم الأيديولوجيا عند ريكور***، مارثيلو فيليكس تورا، ترجمة: هشام الميلوي، ورقة قدمت للمؤتمر العالمي العشرين حول الفلسفة ببوسطن ١٩٩٨م، **مجلة الحكمة**، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، عدد ١٧-١٠-٢٠٠٥م.
١٠. ***الهرمنيوطيقا ونقد الأيديولوجيات: غادامير في مواجهة هابرماس***، هشام معافة، **مجلة الدراسات**، كلية العلوم الإنسانية، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، عدد٦، ٢٠١٧م.
١١. ***يورجن هابرماس: التفكير مع مدرسة فرانكفورت ضد مدرسة فرانكفورت***، موقاي بلال، جامعة عبد الحميد بن باديس، الجزائر، **مجلة الحوار الثقافي**، ع٢، ٢٠١٤م.

(١-٥) الأطروحات

١. عالية الشوبكي: ***نظرية التأويل عند بول ريكور***، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية: عمان، ١٩٩٥م.
٢. عبد الله الأنصاري: ***الأيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة***، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ص٢١.